مجلة
روايات أحلام

٩

# القِطَاف المُر

www.elromancia.com

مرمورية

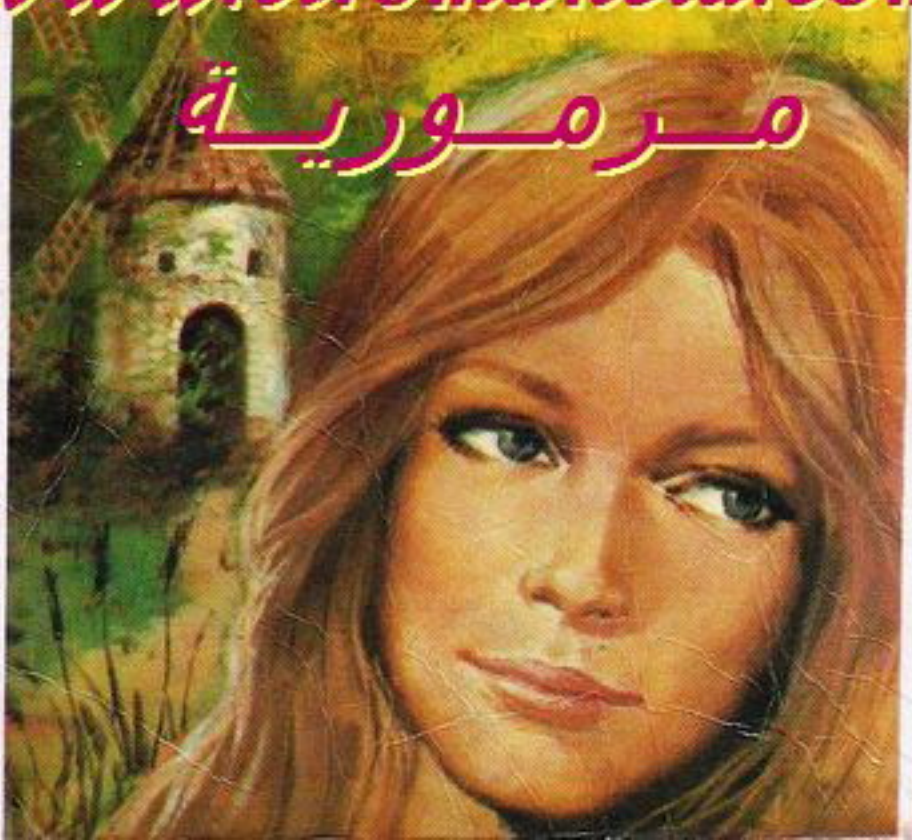

# مجلة روايات أحلام

كانت ماري دالمونت قد رمت فكرة الانتقام خلفها.. ودفنت المرارة التي كانت في نفسها مع الماضي، لأنها كانت تعلم أن الوقت قد فات على مساعدة امها وابيها... فكلاهما ميت... الأب انتحر هرباً من العار... والأم لحقت به...

ولكن جورج ستيل... الرجل الذي سبب كل هذا الدمار لحياتها، له ابن، والابن هذا، يطلبها للزواج الآن...

إنها تكرهه... حتى عندما لم تكن تعرف من هو... ولا أن والده هو الذي دمّر حياتها... ريك ستيل... لا يمكن أن تصدق... ليس بعد هذا الزمن الذي مرّ بها.

www.elromancia.com

## ١ ـ عينان تجرحان

حاولت ماري مقاومة العتمة... فهي تعرف ما قد تجلبه لها، وتعرف أنها لن تتمكن من مواجهة الكابوس مجدداً هذه الليلة. لكن الظلام حل رغم كل شيء حاملاً معه الأسى والخسارة اللذين لم تتقبلهما يوماً.

وانحسرت العتمة وتركت مكانها لوناً رمادياً أدكن بعد أن ظهر لها وجه أبيها المعذب وصورة أمها الحزينة، وأخيراً صورة جيدون المشمئز الذي قال لها متهماً ووجهه يضيء:

ـ كان يجب أن تخبريني.

ثم سمعت صوتها يناديه. يتوسله ألا يدينها على ماضيها. وإذ به ينظر إليها بعينيه الزرقاوين الباردتين:

ـ أنت تعرفين أنني لن أستطيع الزواج منك بعد الآن.

ـ لا!

هذه المرة خرجت منها صرخة حقيقية فتقلبت على فراشها وهي تسعى إلى الرجل الذي راود حلمها، الرجل الذي أحبته. قالت متوسلة:

ـ «جيدون» أحبك... لا تتركني... هجرني الجميع: أبي وأمي، والآن أنت... لا يمكنك أن تتركني أيضاً!

ـ ترقبيني جيداً وأنا أخرج من الباب دون أن أنظر إلى الوراء أبداً. في المرة القادمة عندما تهدفين للوصول إلى ما هو محترم... تأكدي أولاً من قول الحقيقة للرجل الذي سترتبطين به... وإن لم تخبريه أنت فسأخبره بنفسي.

ـ لا... جيدون! أرجوك... جيدون أنت تحبني!
ـ لقد أحببت ماري دالمونت، ولن أحبَّ ماريام وايلز.
ارتمت على قدميه تنتحب، تتمسك بساقيه وهو يبتعد:
ـ جيدون لا تذهب!
فنفضها عنه وكأنها كلب مسعور:
ـ يجب أن أذهب، فما من رجل محترم يمتلك ذرة من عقل قد يريدك زوجة.
ما من رجل محترم... محترم... محترم... يريدك زوجة... زوجة.
ـ ماري... استيقظي!
شخص ما أخذ يهز كتفها:
ـ ماري... افتحي عينيك... أنت تحلمين! ماري!
مرة أخرى اهتزت كتفيها... لكن بقسوة. هذه المرة أجبرت نفسها من بين براثن النوم على فتح عينيها بجهد... فتلاشت العتمة وحل مكانها نور الشمس الساطع... وشاهدت وجهاً قلقاً، وجه ساندرا زميلتها في السكن.
سألتها:
ـ هل أنت بخير؟ كنت تصرخين عالياً، حتى ظننت أن أحداً يهاجمك!
رفعت ماري نفسها على مرفقها، وأرجعت شعرها الذهبي الأحمر إلى الوراء، ثم رفرفت أهدابها الطويلة التي أحاطت عينيها البنيتين.
ـ ما مر بي لم يكن سوى كابوس!
شهقت ساندرا وهي تجلس على حافة السرير.
ـ لقد بدا لي حقيقياً.
رمت ماري الأغطية عنها، ثم أنزلت قدميها إلى الأرض:
ـ الكوابيس هي هكذا دائماً، تبدو كأنها حقيقة لذا ترعب الإنسان.
وقفت ساندرا الممتلئة القد قليلاً، ذات الشعر الأشقر المسترسل حتى الكتفين... تمتمت:



ـ لكنه بدا لي رعباً حقيقياً.
مددت ماري جسدها:
ـ هو دائماً على هذا الحال... لكنني نسيت ما هو.
بدا الشك في عيني ساندرا.
ـ صحيح؟
اتجهت ماري نحو الخزانة لتتناول ملابسها الداخلية منها.
ـ صحيح.
كانت ماري مديدة القامة يزيد طولها عن المئة والخمس والسبعين سنتم ترتدي بيجاما تظهرها أنحف مما هي عليه. شعرها الأصهب جذاب ووجهها الذي خلا من الزينة أظهرها أصغر من عمرها الذي لا يتجاوز الأربع والعشرين عاماً. كانت تعرف تماماً أن ما يجذب الرجال إليها هو ذاك المظهر الناري الذي يناقض طبيعتها الباردة.
سألتها ساندرا:
ـ إذن أنت لا تذكرين من هو جيدون؟
ـ جيدون؟
جمدت... ثم استعادت وعيها فوراً، وركزت على التفتيش عن ثوب السباحة الأخضر:
ـ ومن هو جيدون؟
نظرت إليها صديقتها وزميلة سكنها باستغراب.
ـ وددت لو تخبريني. لقد ناديت باسمه أثناء النوم.
ـ لكنني لا أعرف شخصاً اسمه جيدون.
انحنت تفتش عن ثيابها الداخلية، وهذا ما حماها من نظرات ساندرا الفضولية التي أردفت:
ـ ربما تعرفينه... وربما تظنين فقط...
ـ ساندرا!
صفقت الدرج بقوة وهي تردف قائلة:

ـ أنا أعرف تماماً ما إذا كنت أعرف شخصاً بهذا الاسم أم لا... وأنا اؤكد أنني لا أعرف إنساناً بهذا الاسم.

بدا الارتباك على وجه الفتاة الأخرى:

ـ آسفة.

فتنهدت ماري بعمق:

ـ لا... أنا من يجب أن تأسف... أظن... أظن أن الكابوس قد كدرني أكثر مما يلزم.

نظرت إلى زميلتها متوسلة، فقالت ساندرا موافقة:

ـ إنه مرهق حقاً... لعل تفكيرك في جنجر الموشكة على الزواج هو ما جعلك تنامين قلقة.

ـ أجل... هل لي أن أستحم قبلك؟

وقع كلام ساندرا في موقعه حقاً. فزفاف جنجر هو ما سبّب الكابوس لها. فالفتيات الثلاثة يعملن معاً في مؤسسة للبناء والهندسة، وهن إن كنّ لا يعملن في غرفة واحدة إلا أنهن يمضين الوقت معاً، واليوم يوم زفاف جنجر من رئيسها بيتر ديكسون الشريك الأصغر في المؤسسة. وفي هذا اليوم أيضاً تقع ذكرى زفاف ماري ذاك الزفاف الذي لم يتم بعد أن تخلّى عنها جيدون!

جيدون هاريس، هو وريث ثروة هاريس والشريك الأصغر في مؤسسة والده، التي كانت ماري منذ خمس سنوات موظفة فيها. منذ البداية لم يوافق إطلاقاً على زواج ابنه منها. وهو من زوّد ابنه بالمعلومات التي قادته للافتراق عنها. فقد كانت تعتقد، أن ماضيها، بعد طول الزمن لن يلاحقها كظلها. ولكن ما أن علم جيدون حقيقتها حتى فسخ الخطوبة، وألغى الزفاف... وها هي حتى الآن لم تُشف بعد من وقع تلك الطريقة التي تخلى بها عنها. فآب ما زال بالنسبة لها شهر العذاب.

والليلة الماضية كانت الأسوأ بالنسبة لها. فقد أبى الكابوس الانصراف عنها رغم الجهد الذي بذلته للنسيان... والمسكينة ساندرا تتساءل دون شك



مذهولة عما حصل لها!

خرجت من الحمام بعد عشر دقائق؛ تلّف المنشفة شعرها الرطب.

ـ إنه لك.

كانت جنجر قد وعدتها بأن تأخذها وساندرا إلى مزين الشعر. لكنها لم تجد ما يدعو إلى ذهابها فشعرها يعود دائماً إلى طبيعته الجعداء ما أن يجفّ.

بعد خمس دقائق نادتها ساندرا:

ـ أنا ذاهبة الآن... سأراك عما قريب.

خرجت ماري إلى غرفة الجلوس.

ـ حسناً... لا توتّري جنجر لئلا تغيّر رأيها.

فضحكت ساندرا:

ـ أوَ تمزحين؟ لقد عملَتْ طويلاً حتى وقع المسكين الغافل في شباكها.

ـ ولكن ذلك المسكين الغافل يعبد الأرض التي تمشي عليها. من الغريب أنهما لم يدركا عمق حبهما لبعضهما بعضاً إلا بعد أشهر.

ـ هذا هو الكلام الصحيح!

ضحكت ساندرا قبل أن تخرج.

لقد تصادقت ماري وجنجر منذ أربع سنوات قد تزيد قليلاً وذاك منذ بدأت العمل في مؤسسة ديكسون وديكسون للمقاولات. ديكسون الكبير يوشك على التقاعد بعد مدة وجيزة، أما ديكسون الصغير فهو بيتر. وفي المؤسسة مهندسون يعملون لكنهم ليسوا جميعاً مديرين أو شركاء.

ديكسون الكبير «رئيس ماري» هو رجل ضخم، ما كان ليشعر بأنه أسعد حالاً من سعادته بزواج ابنه من جنجر. ولو أن ريتشارد هاريس أحس بما يحس به ديكسون الكبير لزواج ابنه من سكرتيرته! لما نبش الماضي، أو فتح جراحها القديمة... ولكانت اليوم زوجة جيدون ولعلها كانت الآن أمّاً لأطفاله.

كانت عائلته كلها قد ارتعبت يوم اختارها زوجة له ابتداءً بوالدته المتعجرفة المتكبرة ووالده الساخط انتهاءاً بشقيقته الصغرى الخبيثة بريدجيت

لكن تلك الشقيقة على الأقل نعتتها بالباحثة عن الثروة، أما والده فقد كان أخبث الناس. فقد فضح سرّها قبل أسبوع فقط من يوم الزفاف... وعندها تصاعد حقدها، ليس عليه فقط... بل على جورج ستيل، الرجل الذي حطم حياتها بحقد، فهو من دفع والدها إلى الانتحار وأمها إلى الموت حزناً على زوجها.

أنهت ماري تجفيف شعرها، ثم وضعت بعض الزينة على وجهها وهي عازمة الرأي على عدم التفكير في جيدون... فعليها أن تكون في منزل جنجر بعد ساعة... وليس لديها الوقت الكافي للتفكير إلا بالتحضير للعرس.

كان كل شيء رأساً على عقب في منزل العروس، فالسيدة راندلف متأكدة من أن الزهور لن تصل في الوقت المناسب. أما السيد راندلف فقد حبس نفسه في غرفة المطالعة هرباً، وهذا ما أزعج زوجته.

اتصلت ماري ببائع الزهور، الذي أكّد لها أن الزهور في طريقها إليهم.

صاحت جنجر:

ـ الحمد لله أنك هنا!

أمسكت بيد ماري تجرها إلى غرفة النوم قائلة:

ـ افعلي شيئاً لشعري!

ـ وما به؟

ـ لا شيء الآن... ولكن انظري!

تناولت الإكليل ووضعته على رأسها، فبدا متناقضاً مع تسريحة شعرها المرفوع إلى الخلف.

ـ لم آخذه معي إلى المزين... وها أنا كما ترين أبدو في حال سيئة!

ملأت الدموع عينيها الزرقاوين...

ـ لا لست في حال سيئة إطلاقاً... فكل ما تحتاجين إليه هو القليل من التعديل، هذه إلى هنا، وهذه الخصلة إلى هناك، وهنا نملسه قليلاً.



كانت تنفذ كلامها فوراً، دون أن تجري أي تبديل أساسي على تسريحة العروس. لمعت عينا جنجر بالسعادة بدل الدموع.

ـ كنت أعلم أنني أستطيع الاعتماد عليك؟

فابتسمت ماري:

ـ لهذا اخترعوا منصب الوصيفة الأولى، بالمناسبة أين ساندرا؟

ـ ما تزال عند مصفف الشعر.

ـ ماذا يفعلون لها هناك أيزرعون شعراً إضافياً؟

فضحكت جنجر:

ـ لعل ذلك لا يحدث... فشعرها الكث قد استغرق وقتاً مضاعفاً ليجف! لقد عدت لأساعد أمي، لكن ليتني لم آتِ.

ـ الأمور مربكة بعض الشيء؟

ـ لا تستخفي بالأمر يا ماري، إنه الجنون بعينه... ليتنا تزوجنا «خطيفة»!

فضحكت ماري:

ـ أعتقد أن كل عروس تتمنى ذلك قبل الزفاف... لكن انتظري حتى تشاهدي الصور التي ستذكرك بالحفلة مدى العمر. آه... ها قد وصلت سيارة الزهور.

سارعت جنجر لتنضم إليها عند النافذة، متنهدة:

ـ الحمد لله! ها قد مرّت إحدى الأزمات. هل تظنين أن الزهرة التي سيضعها بيتر في سترته وصلت سالمة؟

ـ أليست من محل الأزهار نفسه؟ سأنزل لأسألهم إن كانوا قد قصدوا منزله أولاً.

ـ لماذا لم أفكر في ذلك؟

ضحكت ماري سعيدة لأنها وجدت صديقتها مبهورة بالوضع!

ـ لأن أعصابك المتوترة تحول بينك وبين التفكير السليم.

ـ ألن تتوتري يوماً؟



www.elromancia.com

صمتت محرجة ثم تمتمت معتذرة:

ـ آسفة، ما كان يجب أن أقول شيئاً كهذا.

ـ لا بأس عليك... لا شك في أنني سأكون كذلك يوم أجد الرجل المناسب.

ردت صديقتها بلهفة الواثق:

ـ طبعاً... ستجدينه، أنت أجمل من أن يستطيع الرجال تجاهلك وأنا سعيدة لأن بيتر يحب الشعر الأسود لا الأحمر!

قهقهت ماري:

ـ علي النزول لأتحدث مع عمال الزهور.

بعد أن عادت قالت للعروس:

ـ ألم يحن الوقت لترتدي ثيابك، فمن الإجحاف ترك العريس منتظراً في الكنيسة.

ـ أنت على حق لقد تأخر الوقت... لكن أين ساندرا يا ترى الآن؟

ـ لا تقلقي عليها... ستكون عندك حتى وإن اضطرت إلى المجيء وشعرها مبللاً... تريثي تري أن كل شيء سيسير على ما يرام.

هذا ما كان... فقد قرر السيد راندلف الخروج من مكتبه وارتداء بذلته، وارتدت السيدة راندلف البذلة التي تريدها ووصلت ساندرا في الوقت المناسب لتساعد العروس على ارتداء ملابسها وقبّلت ماري العروس المشعة على خدها قبل نزول الدرج وصولاً إلى السيارات المزينة المنتظرة لتقلهم إلى الكنيسة.

كانت الوصيفتان ترتديان ثوبين متشابهين لونهما أخضر فاتح. لهما أكمام منفوخة، وربطة عند الخصر الذي يمتد منه الفستان وصولاً إلى الأرض. ضحكت ساندرا والسيارة البيضاء الفخمة تسير بهما.

ـ أحب حفلات الزفاف.

فهزت ماري رأسها:

ـ هذه الحفلة جميلة دون شك.



قالت الفتاة الأخرى حالمة:

ـ لعل الحفلة تؤثر على روبرت فيطلبني للزواج.

روبرت هذا هو الشاب الذي تقابله منذ أشهر. نظرت إليها ماري بحدة:

ـ أتحسبينه قد يطلبك؟

فضحكت ساندرا:

ـ لا... لكنني أعيش على أمل أن يفعل.

أمسكت ماري باقة أزهار العروس عند بدء المراسم ثم أصغت إلى الكلمات الجميلة... لكن شيئاً ما... تحرك في عقلها الباطن، شيء ما جعلها ترتبك... التفتت إلى من حولها، فثمة شخص ما يراقبها. بحثت بين المدعوين الذين وجدتهم جميعاً يحدقون إلى العروسين. لكنها ما زالت تشعر بأن شخصاً ما يصبّ نظراته عليها.

ثم شاهدته!

أشاحت وجهها عنه، ولكن وجه الرجل انطبع في ذاكرتها. كان يجلس قرب السيدة ديكسون، طويل القامة أسمر الوجه ذا عينين رماديتين تسلطان اهتمامهما عليها، وأنف دقيق متعجرف، وخدين نحيلين وفم رفيع. كان رائعاً في بزة رمادية يرتدي تحتها قميصاً أبيض أما عمره فقد لا يتجاوز الثامنة أو التاسعة والثلاثين.

أعادت نظرها إليه، فوجدت أن تلك العينين لم تبرحا وجهها، ولم تحاولا الإشاحة ولو قليلاً عنها. إن فتاة واثقة من نفسها مثلها لن تخجلها نظرات كهذه. لاقت تلك النظرة لثوان معدودة قبل أن تشيح ببطء وجهها عنه. تلك اللحظات، جعلتها تلاحظ أشياء عدة في الرجل، كالخيوط الرمادية اللامعة في شعره، وفي فوديه، والقساوة البارزة في عينيه، والسخرية الواضحة المرتسمة على فمه.

كيف يجرؤ على النظر إليها بمثل هذه الوقاحة؟ علت وجهها حمرة الغضب وهي تعود للالتفات إلى المذبح. ثم... ماذا يفعل بجلوسه قرب السيدة ديكسون؟ ليس لبيتر أشقاء، وأبناء عم يقومون بدور مرشدي



www.elromancia.com

الضيوف. ومع ذلك يجلس هناك مع إيزابيلا وكورين ديكسون وكأنه الضيف الملكي! ما زال يمعن النظر فيها... تباً له.

إنها تشعر بوجوده بجلاء ينذر بالشر...

ينذر بالشر؟... لماذا اختارت هذه الكلمة لتصفه؟ لقد اعتادت عبر السنين على صد الذئاب الشرسة عنها، وهذا الرجل على ما يبدو إحداها. لن يخيفها... وإن تابع تحديقه هذا فسيرى أنه بذلك لن يثير فيها أقل اهتمام به.

ها هو الآن يقف هناك يراقب الحشد والكاميرا تلتقط صورهم وها هي تلك العينان تتابعان تحديقهما إليها. بدا طويلاً جداً في ضوء الشمس، أما شعره الأسود فبدا خالياً من الشيب.

رفت ماري رأسها بكبرياء فتماوج شعرها الأحمر الذهبي في النسيم، والتمعت عيناها العسليتان في ضوء الشمس.

نادى بيتر:

ـ ريك... ريك تعال وانضمَّ إلينا.

ـ ليس أنا.

جاءها صوت الرجل الرمادي العينين كسولاً، وعميقاً، إنه نوع من الأصوات التي تأسر الاهتمام.

قال بيتر من جديد ملحاً في الطلب.

ـ هيا يا ريك.

ثم شاركت جنجر في الرجاء:

ـ أجل... تعال يا ريك.

قال:

ـ هل يمكنني الوقوف قرب الوصيفة الأولى؟

نظر إلى فم ماري المشتد بسخرية. وضحك الضيوف كلهم... إلا ماري. عندها اشتدت ذراع الاشبين هامش ماينارد على خصر ماري... فهو منذ أشهر يتودد إليها. تابع ريك سؤاله الساخر:



ـ هل أحصل على ما أريد؟

تنفست ماري بصعوبة وقد كرهت هذه الطريقة التي يذلها بها أمام الحاضرين. وهي إلى ذلك تكره أن تكون محط الأنظار وهي عادة اكتسبتها منذ زمن. كيف لهذا الرجل أن يحرجها بهذا الشكل! لن تسامحه أبداً لأنه جعل الأنظار كلها مسلّطة عليها.

ضحكت جنجر:

ـ بالطبع ستحصل على ما تريد.

ـ إذن سأقبل.

تقدم إلى الأمام بخفة الفهد وقوته فتمتمت ساندرا:

ـ يا لك من محظوظة يا ماري... أين كنت تخبئينه يا جنجر؟

احتل ريك مكان هامش، ولف يده على خصر ماري كما كان يفعل هامش. ثم ابتسم، عندما أحس بها تجمد، ابتسامة خبيثة، أخفت البرودة من عينيه، والسخرية من فمه.

تجاهلته ماري وصبت اهتمامها على المصور وهو يرتب وقفة العروسين والوصيفتين والاشبينين وريك هذا. التقط المصور صوراً عدة لهما من مختلف الجوانب، واستمر هو في الوقوف إلى جانبها. دون أن تبتعد يداه عن منحنيات خصرها الرشيق.

عندما أعلن المصور عن رغبته في تصوير العروسين، استغلت هذه الفرصة فتحررت من تلك الذراع وانسلت من بين الجمع، هانئة البال لأن ذاك الرجل ابتعد عنها.

استمر إعجابه الصامت بها خلال حفل الاستقبال لكن نظرته المستقرة عليها بدأت تحرجها... كيف له أن يحدّق إليها هكذا.

تمتم هامش ماينارد:

ـ يا للوقح البائس!

لم تجد ماري تفسيراً لغضبه. تناولت كأس الشراب من يده، فوجدته يرمق الرجل الأسود الشعر بنظرات ملؤها الكره. ثم سألها:



www.elromancia.com

- من هو بحق الله؟

وقف أمامها ليحجب الغرفة عن نظرها. فهزت كتفيها:

- لست أدري... لعله صديق لآل ديكسون.

- هه... يبدو وكأن جنجر تعرفه.

- لكنها لم تذكره قط.

استدار لينظر إليه، لكنه وجد ريك غارقاً في حديث مع بيتر.

- إنه مثير للاهتمام.

لو كانت مكانه لقالت إنه خطر داهم. فهو وإن لم يتفوه بكلمة، فقد أثرّ فيها عميقاً! هي لم تكلمه وهو لم يكلمها. لكن عينيه أخبرتاها الكثير وما زالتا تتكلمان.

قال هامش:

- أتحبين أن نرقص؟

هامش إنسان عزيز. ومع ذلك فشيء ما فيه كان يذكرها كثيراً بجيدون فلهما الطلة ذاتها ولون الشعر والتصميم والعزم نفسيهما. إنه كجيدون لن يقبل الزواج من ماريام وايلز.

استمرا في رقص متصل... قالت له:

- أعتقد أن علينا تغيير شريك الرقص... أو الاستراحة قليلاً.

- أعرف... لكن لو توقفنا، فذلك الرجل المدعو ريك سيطلبك للرقص وهذا ما لا أريده.

إنه على حق في قوله. فعينا ريك ما زالتا تصبان اهتمامهما عليها... ولعل شيئاً ما يثير اهتمامه ويحيّره فيها... يا إلهي هو لا يعرفها! أيعقل أن يعرف هويتها؟ أحست بالرعب يقبض على صدرها. لكنها صرفت الفكرة من رأسها. لأن أحداً لن يتذكرها بعد هذه المدة كلها. اكتشف ريتشارد هاريس الحقيقة لأنه أوكل إلى شخص ما بنبش ماضيها. وهي الآن لا تكاد تشبه تلك الفتاة الصغيرة المرتبكة التي كانت.

لن يعرفها أحد... فسنوات التنكر الطويلة كانت فعّالة... لعله يحاول



إثارتها فقط. وللأسف نجح! طالبت هامش بإصرار:

- دعنا نتوقف عند هذه الرقصة.

- اوه... لكن.

- إذا طلبني للرقص فسأرفض الدعوة.

نظر إليها بريبة:

- هل سترفضين؟

- أجل... سأرفض.

ابتعدت عنه ثم قفلت راجعة إلى مكانها لكنها اصطدمت بجدار صلب ليس إلا صدر ذاك الرجل الذي امتدت يداه القويتان تسندانها:

- ماري؟

عرفت قبل أن تصطدم به أنه هو. هزت رأسها ببرود:

- عفواً.

لكنه لم يتركها، بل بقيت يداه حيث هما، لا تؤذيانها، ولكنهما لا تمسكانها بلطف أيضاً. قال بخشونة:

- ارقصي معي.

- أنا...

قاطعها هامش عن سابق تصميم ممسكاً بإحدى يديها ليضعها تحت ذراعه:

- كنا ذاهبين إن عذرتنا.

ابتسم هامش ابتسامة جافة قبل أن يبتعد بها. فابتسمت وقد لاحظت غيرته من الرجل الآخر.

- أنت لست ماكراً كثيراً يا هامش...

- مع هذا النوع من البشر لا بد من المكر.

وذكرها قوله بنوع آخر من المكر، مكر تعرضت له على يد جورج ستيل... إن هذا الاسم يجعل جسدها يقشعر ويرتجف.

لم يقترب ريك منها ثانية تلك السهرة... فقد بدا بوضوح أنه كان يبتعد



www.elromancia.com

عنها كلما صدف أن اقتربت من مكان وجوده. وكان يشيح وجهه إلى الجهة المعاكسة إذا صدف أن نظرت إليه. فبينما هي غارقة في التفكير وقف أمامها رئيسها... ديكسون الكبير:

- أترقصين يا عزيزتي؟

- ما أحبّ ذلك إلى قلبي!

عندما تحركت برشاقة بين ذراعيه، وجدته رغم ضخامة جسده يتحرّك برشاقة فوق حلبة الرقص... قالت تحادثه:

- لقد كانت الحفلة رائعة سيد ديكسون.

بدا مسروراً وهو يجيبها:

- هذا ما لاحظته. لقد كانت جنجر رائعة الجمال.

كانت جنجر تطوف في غيوم السماء السابعة طوال الاحتفال، ولم يكن بيتر بعيداً عنها... توقف السيد ديكسون:

- والآن استأذنك يا عزيزتي... سأمررك لصديقي الشاب... الذي كان يتوق إلى لقائك طوال اليوم... ريك...؟

حدقت ماري إلى معذبها بعيني الغضب... أما السيد ديكسون فنظر إليهما بعينين عطوفتين وبابتسامة راضية.

قال لها ريك ساخراً:

- ماري؟

ابتلعت غضبها فبين هذا الشاب وآل ديكسون صداقة لا تعرف حدودها. لذا لا بد من أن تعامله بتهذيب.

وبّخها ريك ساخراً وهو يحتويها بين ذراعيه ليراقصها:

- إنّ هذه حكمة منك يا ماري...

- أستميحك عذراً؟

ردّت رأسها إلى الوراء، لكنها ما إن فعلت حتى ندمت على ما فعلت فقد وجدت أنه قريب منها إلى حدٍّ جعلها تلاحظ لون عينيه الرماديتين.

أجابها:



- أنا صديق مهم لآل ديكسون.

أبعدت وجهها عنه... إنه يقرأ أفكارها بسهولة لكن هل يجب أن يدنيها منه إلى هذا الحد؟ قال بنعومة:

- أجل... يجب أن أدنيك مني.

رمشت بعينيها مذهولة... هل يستطيع حقاً قراءة كل ما تفكر فيه؟!

- تقريباً!

شهقت... وهو يردف بعفوية:

- إنهما عيناك... في البداية بدتا بنيتين، ثم لاحظت إن الدوائر الذهبية تغيرهما إلى اللون الذي يناسب مزاجك. مثل الآن، فعندما تغضبين تصبح عيناك عسليتين. إن لك عيني قطة يا ماري... إنهما تشبهان عيني قط صغير كنت أملكه عندما كنت طفلاً. وكنت أحب أن أجعله يخرّ يا ماري.

ردت بسخرية ساحرة:

- إنّ قولك لمثير للاهتمام.

حرّك بإبهامه رسغها، ثم قال ساخراً:

- أنت لست هادئة كما تدّعين.

أوقف اصبعه على نبضها المتسارع.

- وأنت مبهمة كالقطة أيضاً... فهل تخمشين مثلها عندما تحرجين... أيتها القطة الصغيرة؟

نظرت إليه ببرود. إنها تعلم أن طريقته الجريئة، ومظهره الجميل قد يروق للكثيرات، لكنه لا يروقها إطلاقاً.

- أنا لا أضع نفسي في موقف يحرجني سيد... ريك. لكني لا أنكر حبي للقطط.

- أنا أيضاً أحبها حباً ازداد الآن أضعافاً... لكنني أظن أنني قد أتمتع بخريرك أكثر من خمشك.

فابتعدت عنه. مستثنية قواعد اللياقة:

- أنا لا «أخرّ» أبداً. والآن لو سمحت... أظن أن جنجر وبيتر



www.elromancia.com

سيغادران.

ارتدت على عقبيها شامخة فخورة. لكن قد يزعجها معرفة أن الكثير ممن كان يراقبها شبّه رشاقتها برشاقة الهرة.

تقدمت جنجر لتعانقها:

- أشكرك على كل شيء قمت به من أجل مساعدتي يا ماري.

كانت السعادة تشع من وجه هذه العروس المختالة بثوبها الأصفر الذي اختارته للسفر لقضاء شهر العسل.

وتابعت:

- ألم يكن كل شيء رائع؟

قبّلتها ماري بحرارة...

- رائع رائع! والآن هيا اذهبي وانضمي إلى عريسك النافذ الصبر.

ضحكت جنجر:

- وماذا ستفعلين بريك المسكين؟ إنه متيّم بك... أتعلمين هذا؟

إنها فرصتها لتعرف المزيد عنه:

- جنجر... من...

قاطعها بيتر بوضع يده على خصر عروسه:

- هيا بنا يا حبيبتي... آسف على مقاطعتكما يا ماري لكن السيارة تنتظرنا لتقلنا إلى المطار.

قبّلها على خدها مودعاً. بدا الأسى على جنجر:

- آسفة يا ماري... لكننا سنكمل حديثنا عندما أعود.

وتنهدت ماري... العروسان سيغيبان شهراً وهذا يعني أنها لن تتلقى معلومة من جنجر عن هذا الرجل المدعو ريك.

- إنها على حق... أتعلمين هذا؟

أجفلها صوته رغم رنته الناعمة... نظر إليها نظرة ممعنة جادة:

- أنا فعلاً متيم بك... فماذا ستفعلين بي؟

- لا شيء... إلا تجاهلك.



قفلت مبتعدة عنه فلحقها قائلاً:

- لستُ ممن يتجاهلهم الناس.

احتفظت ماري بصمت بارد، وهي تراقب جنجر وأمها تودعها معانقة إياها قبل أن تركب إلى جانب بيتر في السيارة.

جاءها صوته قريب بشكل غريب من أذنها:

- لو أنها رمت تلك الباقة من الزهور، لالتقطتها لك... لأنك ستكونين العروس التالية يا ماري... عروسي.

عند هذا الحد فقدت قدرتها على الصمت. وكيف لا وهو يلّوح لها برداء أحمر. التفتت إليه بغضب وسيارة العرس تبتعد:

- هل أنت مجنون؟

لم يُبدِ اهتماماً أو اكتراثاً بغضبها.

- لقد بدأت أظن أنني مجنون... لكنك ستتزوجيني يا ماري.

- أنا... أبداً!

ستتزوجه...؟ يا للسخرية! إنها لم تكد تحدّثه... فكيف له... لا... إنه مجنون!

تقدم منها دون ديكسون، الأب:

- ماري... يا عزيزتي... أنا سعيد لأنني أراك وريك متفقين.

- اوه... لكن...

- إنه رجل لامع... متقد ذكاءً.

إنه تقدير مرتفع يقدمه رجل أعمال كبير كديكسون... واشتد اهتمام ماري. فلو أن دون ديكسون يقول إن الرجل لامع... فهذا يعني أنه لامع حقاً... لكن لامع بماذا؟ ليس لديها فكرة.

تابع دون ديكسون:

- من كان له أب كأبيه، فلا شك في أنه سيكون لامعاً. إنني فخور بمعرفته.

- أب مثل أبيه؟



www.elromancia.com

- أجل جورج كان الأفضل.

- جـ جورج؟

تقلصت معدتها عند سماعها هذا الاسم... لن يكون...

تابع دون شرحه بفخر:

- جورج ستيل... لا أنكر أنه ارتكب تلك الغلطة في قضية وايلز، عندما أساء تقدير الرجل... لكن هذا كان قبل زمانك بكثير.

لا... ليس قبل زمانها أبداً. إنها تتذكر القضية جيداً... بل تتذكر القضية وتتذكر جورج ستيل...

إنه الرجل الذي لا قلب له، إنه الأفعى السامة التي تترك بصماتها على ضحاياها...

وهي تذكر أيضاً تشارلز وايلز... والدها.

## ٢ ـ الماضي يحيا من جديد

لقد استمرت تلك القضية في المحكمة أشهراً، وأشهراً، أصبحت خلالها ماري وأمها هدف الأضواء فقد لاحقهما المصوّرون أينما حلتا وفي أي وقت حتى يوم دفن والدها...

وتابع دون كلامه وهو يهز برأسه:

- بالطبع كان من العار أن لا تصل القضية إلى خاتمتها... مع أنني كنت واثقاً من قدرة جورج على إدانته... لكن لماذا أزعجك بشيء أصبح من الماضي يا عزيزتي... خاصة في يوم كهذا، فأخبار العجائز مثلي ومثل جورج لن تثير اهتمامك. هيا اذهبي ومتعي نفسك... فالوقت ما زال مبكراً.

ما من أحد ينظر إليها قد يتكهن مدى الصدمة التي تلقتها ومدى الألم الذي اكتنفها...

بقيت تعابير وجهها هادئة... وتحركاتها بطيئة أثناء دخولها غرفة السيدات. مع أن الذكريات كانت تتزاحم في عقلها.

اثنتا عشرة سنة... اثنتا عشرة سنة بائسة... تغير اسمها واسم أمها خلالها إلى دالمونت لكن تغيير الاسم لم يمحُ العار الذي أحست به أمها حين اتهم زوجها بأنه مجرم، أو حين أدين أكثر عندما انتحر قبل محاكمته.

بعد موت والدها رأت ماري أمها خلال سنوات خمس وهي تذوي شيئاً فشيئاً. تتلاشى فيها الحياة رويداً رويداً من بين جنبيها، راقبت وجهها الخالي من الهموم وقد انقلب هناؤه إلى أسى، وجماله إلى إرهاق وكِبَر، أما الفخر



www.elromancia.com

الذي كانت تحس به لشبابها فقد زال حتى غدت في أيامها الأخيرة لا تحفل حتى بتغيير ثيابها... نوبة قلبية... هذا ما قاله الطبيب عن سبب موتها وهي في الثامنة والثلاثين. لكن ماري كانت تعرف سبب موتها الحقيقي.

عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها، أقسمت على الانتقام من جورج ستيل!

كل ما اكتسبته من مهارة السكرتارية، كانت تقصد منه الحصول على وظيفة في مكتبه، تستطيع بها خداعه وتدميره. لكنها لا تعرف كيف السبيل إلى الانتقام منه، فقد أحست فقط أنه إذا كان مخطئاً بحق والدها، ولقد كان مخطئاً، فلا بد من أن يكون هناك قضايا أخرى اخطأ فيها أيضاً... قضايا أدان أصحابها بسبب مركزه العملي... كمحام.

لكن الذي حدث أنها علمت، وذلك قبل أن تكتسب المؤهلات اللازمة للانتقام، بأنه تقاعد فتداعت بذلك أحلامها بالانتقام.

لكن لهذا الرجل ابن. ابن لم تكن تعلم بوجوده حتى وهو شاب. طلب منها الزواج منذ لحظات. شاب لم تحبه منذ رأته عيناها... ريك ستيل... لا يمكنها أن تصدق... ليس بعد مرور هذا الوقت كله.

كانت قد رمت فكرة الانتقام وراء ظهرها دافنة المرارة التي اعتملت في نفسها يوماً بعد أن علمت أن لا طائل من الانتقام، وأن مساعدة أمها وأبيها قد فات أوانها وكذلك الأمر بشأن جيدون.

دخلت إيزابيلا ديكسون غرفة السيدات، لتنضم إليها أمام المرآة.

- ماري... عزيزتي... ظننتك غادرت دون أن تودعينا.

استجمعت ماري نفسها بجهد:

- لن أفعل هذا سيدة ديكسون.

إنها معجبة بزوجة مخدومها، فهي نشيطة ذات روح مرحة.

- نرجو أنا ودون منك المجيء لتناول الغداء معنا غداً... هل تستطيعين؟ لن يكون هناك سوانا نحن الأربعة.

- أربعة؟



- أنا وأنت ودون... وريك طبعاً.

لو قصدت أن يكون الاسم الأخير حافزاً لها، فقد وهمت لأن وجود ذلك الرجل جعلها ترفض بإصرار.

- أنا آسفة. يجب أن أزور عمتي.

مرت سحابة من التوتر على وجه السيدة الجميلة:

- زوريها في وقت آخر.

- لا... أخشى أنني لا أستطيع...

عمتها، عمتها الكبيرة اديث، لن تسامحها إن امتنعت عن زيارتها ولو لمرة واحدة. فالسيدة العجوز قد وضعت نفسها في مأوى العجّز اختياراً لكنها تتعامل مع المحيطين بها في ذاك المكان وكأنها في فندق، وفي الواقع غالباً ما كانت ماري تعتقد أن عمتها هي التي تدير المأوى، بدل المشرف!

قطبت إيزابيلا:

- تباً... ريك لن يمكث عندنا أكثر من أسبوع لأنه سينتقل إلى شقته... ألن تتمكني من المجيء ولو لتناول الشاي؟

هزت ماري رأسها مرة أخرى... مسرورة لأن لديها عذراً حقيقياً للرفض... إضافة إلى أنها لا تريد أبداً... أبداً... أن ترى ريك ستيل ثانية. فهي تكرهه وتكره الذكريات المريرة التي يثيرها فيها.

- أنا عادة أقضي اليوم كله مع عمتي.

- اوه... حسناً... لا أعتقد أن في اليد حيلة... مع أنني أريدك أن تلتقي بريك.

- لقد التقيت به.

- أعني بعيداً عن الحشد وهرج ومرج الزفاف. لقد أمضى في انكلترا سنوات عديدة، فقد خلالها الاتصال بالأصدقاء ونحن كنا اصدقاء لعائلته منذ أن كان طفلاً... وظننت أنك ربما... حسناً إن لم تقدري على زيارتنا... فهذا أمر مؤسف... اخرجي وانضمي إلى الحفلة يا ماري.

وقفت لتخرج فأجابتها ماري:

- بعد لحظات... أريد إصلاح ماكياجي.

فابتسمت المرأة لها:

- لا داعي إلى ذلك، فأنت جميلة دائماً لكنك عندما ستصبحين في مثل عمري لن تحتاجي الإصلاح فحسب بل إعادة الصنع.

شاركتها ماري الضحك. لكن مرحها تلاشى ما أن أقفلت المرأة الباب. إنها تشك... بل تظن، أن ريك ستيل هو من طلب منها أن تدعوها... فهي كانت ودودة معهما وكانت تتبادل أطراف الأحاديث مع المرأة عندما تزور زوجها... ولكنها لم تدعها قط لزيارتهما.

لقد كان ريك ستيل إذاً في انكلترا سنوات عديدة ينعم بسمعة والده العظيم.

المرارة... إحساس طالما حاولت تناسيه، خاصة بعدما وقعت في حب جيدون... وبعد أن أخرج نفسه من حياتها. في ذاك الوقت لملمت شتات نفسها فانتقلت من شقتها إلى شقة أخرى لتحصل على وظيفة جديدة... عازمة على ألا تدع للمرارة فرصة التحكم بحياتها للمرة الثانية.

والآن... ها قد ظهر ريك ستيل في حياتها... يعيد إليها كل الذكريات المريرة القادرة على تدمير الثقة بالنفس التي اكتسبتها عبر سنين طوال.

عليها الآن إيجاد عذر ما لتتسلّ من الحفلة، بعد ذلك لن تراه ولن تدعه يدمرها! إنها الآن ماري دالمونت لا ماريام وايلز...

- ظننتك ستختبئين الليل كله في الداخل يا قطتي الصغيرة!

استدارت بقوة لتواجه ريك ستيل. فإذا به متكىء إلى الحائط، على مسافة قريبة منها. فقد بدا واضحاً أنه كان بانتظارها. تطلعت إليه ماري بنظرة جديدة وهو يتقدم بثقة نحوها.

هو يشبه ذاك الرجل أباه بعض الشبه. لكن شعره أسود بينما شعر أبيه فضي وهو أطول من أبيه، وجسده لا يميل إلى السمنة، والقساوة لا تظهر على وجه هذا الشاب الساحر كما تظهر على وجه أبيه. تلك القساوة ظهرت بوضوح ضد والدها يوم فاجأه جورج ستيل على حين غرة، محوّراً كلماته



مستغلها حتى عجز أبوها عن قول شيء ما. كان وضعه يشبه وضع حية رقطاء تريد الانقضاض على فأر. وكان أن دفع الكرب والدها إلى الانتحار فقد وجد الأخير أن لا مفر من الإدانة والشكر على ذلك يعود إلى جورج ستيل.

اقترب ريك حتى أصبح أمامها:

- أيتها القطة الصغيرة!

رفعت نظرها إليه ساحبة نفسها من الماضي، لترى وجه ريك ستيل. فأجابته ببرودة:

- لم أكن اختبىء سيد ستيل... والآن هل تسمح...

- لا.

رفّت عينيها:

- لا؟

- لا!

كانت يداه ثابتتان على ذراعيها لكنها انتزعت نفسها من بينهما بشراسة فقطب حاجبيه وعقد ذراعيه على صدره... متسائلاً:

- كنت تتهربين مني طوال اليوم... وقد تركتك تفعلين ما تريدين. لكنني وجدتك أخيراً... ولن أتركك تهربين ثانية. لماذا رفضت دعوة ايزابيلا غداً؟

اشتدت خطوط فمها، ونظرت حولها تفتش عن هامش لتستفيد من عرضه بأن يوصلها إلى المنزل. وقالت دون تفكير:

- لدي موعد غداً.

- ألغيه!

نظرت إليه بازدراء:

- لن يحدث ذلك... فكلمتي عهد لا أفك وثاقه... وموعدي يرتبط بواجب عائلي.

- هذا أمر جدير بالثناء... لكنني أريد رؤية عروسي غداً.



www.elromancia.com

نظرت إليه مشفقة:

- أنت لست في كامل وعيك على ما أظن... سيد ستيل.

رد بنعومة مشجعاً:

- اسمي ريك... عندما قررت أن أتزوجك كنت في كامل وعيي.

- عندما «قررت» سيد ستيل؟ كنت أظن الزواج قراراً مشتركاً؟

- صحيح... لكنك ممن يتأخر في اتخاذ القرارات.

- نحن لم نلتق سوى اليوم.

للابن عجرفة أبيه

- هذا وقت كافٍ.

تنهدت ماري... عليها أن تخرج من هنا في أقرب فرصة. عادت للتفتيش عن هامش... فلو فقدت أعصابها مع هذا الرجل لما استطاع أحد معرفة ما قد تقوله له!

لاحظ ريك انشغالها، فاتسع فمه بابتسامة:

- يا قطتي... أنا...

صاحت وقد كرهت اضفاء اسم حيوان أليف عليها من قبل هذا الرجل:

- لا تناديني هكذا! فأنا لا أحبه! اوه... هامش!

شاهدت هامش فجأة، فالتفتت إلى الرجل:

- وداعاً سيد ستيل.

ضاقت عيناه وهو ينظر إلى الرجل المقبل نحوهما... قال بامتعاض ظاهر:

- إنه صديقك الشاب مرة أخرى. هل هو صديق؟

- اوه... أجل.

لا بد أن هامش سيغفر لها قولها، خاصة وأنه ينتظر اليوم الذي ستقبل فيه صداقته. سألها ريك:

- هل موعدك معه غداً؟

حاولت أن تقول نعم، لكنها خشيت أن تخبره ايزابيلا بأنها ستزور



عمتها.

- لا.

- هذا ما اعتقدته... وأنا لن أتراجع عنك أيتها القطة واعلمي أن كل من يدعى هامش في هذه الدنيا لا يعني شيئاً بالنسبة لي... وأشك في أن يعني شيئاً لك أيضاً.

أصبح هامش على مقربة منها، مسروراً:

- ماري!

حيّا ماري ثم التفت إلى الرجل:

- مرحبا سيد ستيل.

لا شك في أنه يحييه بهذا الاحترام كله بعد أن عرف ابن من هو.

قالت له:

- أنا على استعداد للذهاب حالاً يا هامش.

فضحك:

- اوه... آه... أجل... تسرُّني رؤيتك سيدي.

أحست بالرضى عندما رأت الانزعاج يعلو وجه ريك ستيل. فكلمة سيدي كانت تعني الاحترام، ومن الواضح أنه أحس بالسنوات العشر التي تفرقه عن هامش الأصغر سناً.

التفت ريك إلى هامش ثم قال بلهجة غلبت عليها اللكنة والبرودة الانكليزية:

- وأنا كذلك.

التفت إلى ماري:

- سنلتقي قريباً.

هذا ما قاله... لكنها أحست بأنه يعني ما يقول. فردت بجفاء:

- أشك في هذا.

كانت على وشك فقدان السيطرة على الذات، فتطلعت إلى عودة هامش لها وقالت له متجنبة النظر إلى ريك:



www.elromancia.com

- هل أنت جاهز؟

مشت معه برشاقة وخفة وهي لا تدرك أنها بدت أشد جمالاً وأبهى وهي تختال بثوبها الأخضر بينما تطاير شعرها من جهة إلى أخرى وهي تسير.

لم يلاحظ هامش توترها وهو يصعد إلى جانبها، فقد قال لها بإثارة:

- هل تعرفين من هو هذا الرجل؟

أخرج السيارة من موقفها ثم انطلق بها إلى الشارع. تنهدت وهي تسند ذراعها إلى النافذة، ثم تضع يدها على رأسها:

- أجل... أعرف.

هز رأسه وكأنه لا يصدق:

- إنه ريك ستيل! تصوري أن يكون جورج ستيل هو مثاله الأعلى في الحياة!

- أنا واثقة من أن السيد ستيل... ريك ستيل... قد أرضى آمال والده فيه.

- إنه محام كأبيه. أتعلمين هذا؟

لم تكن تعلم، لكن هذا لم يدهشها... فالأبناء يحذون أحياناً حذو آبائهم!

رمقها هامش:

- لم أكن على علم بأن له ابناً... وأنت؟

- لم أفكر في ذاك الرجل قط.

تابع:

- السيد ديكسون معجب به كثيراً.

- أجل.

تعجبت كيف لرجل قانون أن يكون مخادعاً.

- اتساءل عمّا إذا كان...

فقاطعته بحدة:

- هامش! ... هل لنا أن نتحدث عن شيء آخر يكون بعيداً عن ريك



ستيل؟

- آسف... كنت فقط... أنت على حق... فلماذا نتكلم عنه وأنت إلى جانبي؟

فردت ساخرة:

- لست أدري.

فضحك:

- ولا أنا... هل ستدعيني إلى شرب القهوة؟

- لكن ساندرا...

- لقد خرجت مع صديقها منذ ساعة. وأظن أن جو الغرام قد استبد بهما الآن.

فضحكت بنعومة، وعادت للاسترخاء.

- في هذه الحالة... سأدعوك للقهوة فقط.

أجابها وقد بدا وكأنه جُرح.

- وماذا سواها؟

قالت ضاحكة:

- لكن العرس لم يجعلني أتأثر بالجو الغرامي.

فتنهد:

- إنه حظي!

نظر هامش في الشقة بإعجاب.

- إنها شقة جميلة... لكنني أعرف أن ذوقك رفيع.

نظرت إليه وهو يريح نفسه على أحد المقاعد قائلة:

- وهل تعرف هذا حقاً؟

فهز كتفيه وكأنه يقرر أمراً واقعاً.

- كل ما فيك كامل.

تكورت ابتسامة على شفتيها وقالت مداعبة:

- هل وقفت في الشمس كثيراً اليوم؟



www.elromancia.com

أجابها بجد:

- ليس كثيراً... لن أحتاج إلى ضربة شمس لأعرف أنك خلاّبة... وريك ستيل يوافقني رأيي أيضاً. علي أن أراقبه يا ماري، فهو من الذين يلعبون حسب قوانينهم الخاصة.

فردت عليه بقساوة:

- وأنا أحتفظ لنفسي ببعض القوانين.

- اوه؟

- أجل... فأنا لا أخرج مع رجل أمقته.

لمعت عيناها بالكراهية فقال محرجاً:

- هاي... تمالكي نفسك...!

قاطعت كلماته قائلة:

- أظن أن عليك الذهاب الآن... لقد كان يوماً متعباً.

- صحيح... لكن... حسناً... لا أعتقد أنه من المناسب أن أطلب منك الخروج معي؟

لو أن ريك ستيل كان غريباً عنها، عندها لكانت صدت تقدماته الوقحة، ولربما كانت نسيته الآن... ولكنها لم تكن تستطيع إبعاده عن ذهنها... و الله وحده يعلم كم تحاول!

قالت لهامش:

- جرب حظك يوم الاثنين.

إنها بحاجة إلى الوحدة الآن... وبما أن ساندرا تغيب طويلاً عن البيت. فقد تستطيع الانفراد بنفسها قليلاً.

ضحك هامش:

- سمعت مثل هذا الوعد من قبل. لقد صددتني منذ ستة أشهر... حتى ظننتني اليوم قد أثرت فيك.

فتأثرت بكلامه فعلا... وابتسمت له بحرارة:

- ما رأيك بالعشاء مساء الاثنين؟



بدا فجأة من فرط السعادة أصغر من سنّه الذي لا يتجاوز الثلاثين عاماً:

- هل تعنين هذا حقاً؟

- أعنيه.

- حقاً؟... أعني... حسناً... سوف...

- إذا كنت لا تريد...

- لن تجرئي على تغيير رأيك! لن تجرئي!

قبّلها على خدها بقوة مسروراً ثم أردف:

- الاثنين... الساعة الثامنة... سآتي لأصحبك من منزلك.

صفّر بسعادة، أو ربما من التوتر. وهو يغادر أغلقت ماري عنها أي تفكير. فهي ترفض أي سؤال عن قبولها الفجائي لصحبة هامش، وترفض التفكير بريك ستيل. سنوات التدريب، والاضطرار لدفن ألمها الخاص، مكّناها من النجاح... وأفضل ما فكرت فيه كان ساندرا وعدد الليالي التي تقضيها مع روبرت.

●●●

## ٣ ـ هل تبحرين معي؟

ـ تأخرت!

استقبلت السيدة العجوز ماري بهذه الكلمات، وهي تجلس أمامها في غرفة الاستقبال الصغيرة التي تشارك فيها امرأة اخرى... غرفتا نوم صغيرتان، ومطبخ صغير جداً ملحق بهذه الغرفة.

ـ آسفة يا عمتي.

تقبلت ماري النقد بابتسامة. ثم قدمت إلى عمتها شتلة النبات التي اشترتها لها.

هذه الشقة هي شقة في مجمّع سكني، تمتلأ بأحواض النباتات وكان على المرأة المسكينة التي تشاطر العمة الشقة، التكيف مع الوضع شاءت ذلك أم أبت. لكن من حسن الحظ أن تلك المرأة كانت تحب النباتات وهي حتى إن لم تكن تحبها فإن العمة أديث المتسلطة ما كانت لترضى بأن تستغني عن إحداها.

نظرت العجوز إلى ماري عبر نظارتها الزهرية اللون، عيناها الزرقاوان اللتان أصبحتا شاحبتين ما زالتا تشعان ذكاء ووجهها ما زال يحتفظ ببعض خطوط الجمال التي أورثتها إلى ابنة ابن شقيقها، أما حركاتها فكانت رشيقة رغم الروماتيزم.

ـ ماذا أصابك يا فتاة؟

نظرت ماري بحب إلى هذه العجوز التي جاوزت الثمانين. صاحت العمة عندما طال صمت ماري:



ـ حسناً؟

ـ لا شيء يا عمتي.

حملت الشتلة إلى النافذة وقالت مداعبة:

ـ اشم رائحة الدجاج.

ـ هل نظرت إلى الفرن؟ ... لا... لا تضعيها هناك... ماريام أليس لديك عقل؟ ... هذه الشتلة تحتاج إلى الحرارة ولن تحصل عليه هناك قرب النافذة...

وضعت الشتلة على رف مليء بالشتلات أمام المدفأة... وردت:

ـ لا... لم أنظر إلى الفرن... ولكنني أعرف رائحة طهوك... إنه لذيذ!

رنين ضحكة عمتها أخبرتها أنها سرّت لكلامها... تابعت العمة:

ـ ما زلت أنتظر ردك يا ماريام.

تأرجحت ثقة ماري بنفسها... فلعمتها دائماً هذا التأثير عليها... ولا ريب في أنها لن تستطيع خداعها هذه المرة أيضاً.

ـ تزوجت صديقتي بالأمس.

ـ أخبرتني عن زواجها في المرة الماضية... أما زلت تتألمين من ذاك الخائن «يوضاس»؟

لم تحبَّ عمتها جيدون منذ أن رأته وهذا ما شعر به هو تجاهها أيضاً:

ـ لا بالطبع...

ـ لكن لا شك في أن زواج صديقتك ذكّرك به. لكن شئت أم أبيت فذاك الرجل ما كان مناسباً لك... فلو أحبك فعلاً لاستمر في حبك وإن كنت أنت السارقة.

السرقة... لكن والدها لم يكن قد سرق قرشاً واحد من المصنع الذي كان يديره! لكن عندما وُجد تناقص في الحسابات آخر السنة، اتهم والدها ووُضع على قائمة المشبوهين لأنه كان مديراً لذاك المصنع. ولم يمنع إنكاره الشديد من تقديمه إلى المحاكمة. وقد استطاع جورج ستيل بطريقة ما من

إقناع المحكمة بأنه اختلس المال.

كانت عمتها تراقبها فوقفت متكئة على عكازيها... ثم سارت برشاقة:

- ما بك؟

إن من حق العمة أديث العجوز العيش بسلام في أيامها الأخيرة. أحداث الاثني عشرة سنة قد تلاشت الآن من كوابيسها... ولو أخبرتها ماري عن ريك ستيل، فستقلق.

- أنت محقة يا عمتي... فالزفاف كدرني.

- انسي ذاك الرجل... فهو لا يستحق أقل قلق أو تفكير فيه. كيف كانت حفلة الزفاف؟ هل بدت صديقتك جميلة؟

- جداً.

مضت ماري تصف لها كل التفاصيل، وهي تعلم أن عمتها تحب سماع هذا النوع من الأخبار. لا شك في أنها ستخبر شريكتها في الشقة الليلة عن الأمر بعد عودتها من زيارة ولدها المتزوج وعائلته.

سألت العمة، بعد أن توقفت ماري عن الكلام:

- ومن هو هامش؟

فضحكت ماري:

- مجرد صديق هو أحد المهندسين العاملين في المكتب.

- آه... وهل يعجبك؟

- أجل.

- إذن... لماذا هو صديق لا أكثر؟

من الخبث أن تخدع عمتها هكذا.

- سأخرج معه في الغد.

- هذا أفضل. فأنت لست صغيرة.

عقدت العمة ذراعيها فوق صدرها وهي تسمع ماري تقول لها:

- يا عمتي أنت لم تتزوجي يوماً.

كانت هذه مزحة تتمتع بها المرأتان. جاءها ردّ عمتها الجدي:



- لم أتزوج، لا لأن الرجال لم يريدوني بل لأنني ما رغبت في أن يأمرني رجل ويدير لي حياتي.

قالت ماري ساخرة وهي تشير إلى النباتات حولها:

- وأين كان سينام المسكين؟

- أيتها الفتاة الشيطانة!

- بل الفتاة الجائعة، متى سينضج الطعام؟

كان السبيل الوحيد إلى استرجاع الهدوء النفسي قضاء يومها مع عمتها أديث...

نظراتها الهازئة إلى الحياة تعيد كل شيء إلى الذاكرة... حتى اللقاء مع ريك ستيل... ربما هذا أمر لا مفر منه، فرب عملها صديق لوالده ولا شك في أن مؤسسة ضخمة كهذه تحتاج إلى محام خاص وهذا المجال هو ما تبرع به عائلة ستيل. ستقبل الأمر على ما هو عليه... والخير لها في تناسي ذاك اللقاء.

دخل هامش المكتب وهي على وشك ارتداء سترتها استعداداً للخروج.

- أما زلنا على موعدنا الليلة؟

مدت يدها لترفع شعرها عن ياقة السترة.

- وهل ظننتني قد أتراجع؟

لمعت أسنانها البيضاء بابتسامة... فقال:

- هذا ما أملته.

فهزت رأسها:

- أنا في شوق إلى السهرة.

ازدرد ريقه، فبدا بوضوح شدة التأثير الذي تتركه فيه.

- وأنا كذلك.

- إذن... إلى اللقاء فيما بعد.

اعتقدت أنها لن تستمتع بالسهرة لكنها أصيبت بدهشة لأنها أعجبت بالمطعم الهادىء الذي اختاره وتمتعت بالطعام والشراب... والحديث...



www.elromancia.com

فلقد كان لهامش نطاق واسع من الاهتمامات لم تحسبه يوماً يمتلكها.

نظرت ماري عرضياً إلى ساعتها وقالت:

ـ أكره فعلاً أن تنتهي السهرة... لكن...

كانت تعني ما تقول حقاً! لقد تمتعت بصحبته كثيراً، وللمرة الأولى منذ أشهر استطاعت أن تسترخي هكذا... وتابعت:

ـ ... لكن الساعة تجاوزت الحادية عشرة. وأمامنا عمل في الغد.

ـ هه... وعلينا جميعاً أن نكون على استعداد غداً!

ـ ولماذا؟

ـ طبعاً... هيا بنا نذهب!

أعادت سؤالها وهي تلحق به إلى سيارته:

ـ لماذا يجب أن نكون جميعاً على استعداد غداً؟

فهز كتفيه وهو ينطلق في طريق العودة إلى المنزل:

ـ الولد المدهش يريد رؤية المكتب. أظنه بعد العيش في انكلترا كل هذه المدة يحتاج إلى مراقبة طريقة عملنا هنا في أوستراليا.

لعقت ماري شفتيها الجافتين بلسان أجف منهما... وقد علمت على الفور من هو «الولد المدهش».

ـ هل سيأتي ريك ستيل إلى المكتب غداً؟

ـ أجل... هاي... ألم تعلمي؟

ـ لا.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقد امتد الجفاف إلى حلقها، وفقدت كل المتعة التي شعرت بها الليلة.

ـ لقد ذكر السيد ديكسون أنه سيزورنا ظهراً... وظننتك تعرفين، فأنت سكرتيرته.

ردت بصوت مضطرب:

ـ لا... ما أُعلمت.

ـ أعتقد أن السيد ديكسون نسي أن يخبرك.



ـ ربما.

لكنها لا تظنه نسي أبداً... فريك ستيل قادر على أن يطلب منه عدم ذكر شيء عن زيارته أمام السكرتيرة وذلك كي يجبرها على التعامل معه بأدب في موقعها ذاك.

ـ هل أخبرك متى سيصل السيد ستيل؟

ـ حوالي العاشرة والنصف... إنها زيارة غير رسمية كما عرفت.

بدت مشغولة الفكر، رغم شعورها بالارتياح لأنها علمت مسبقاً بأمر الزيارة.

كان النور مضاءاً عندما أوصلها هامش إلى الشقة، وهذا يعني أن ساندرا في المنزل. قرأ هامش رجاؤها الصامت:

ـ لا بأس... لقد تأخر الوقت على كل الأحوال... أنا... هل لنا أن نخرج مرة أخرى؟

ابتسمت ماري وقد ظهر الدفء في عينيها العسليتين:

ـ سأحب هذا كثيراً.

ـ حقاً؟

فضحكت:

ـ أجل. لكن ليس قبل بضعة أيام... هه؟ فأنا لا أخرج عادة خلال الأسبوع.

ـ سنتكلم عن هذا يوم الجمعة.

ـ عظيم!

تقدمت ماري منه لترفع له خدها، وهي حائرة في أمره، فكيف يفتقر إلى الجرأة في وداعها وهو شاب جريء واثق من نفسه في العمل لكنه لم يكن بحاجة إلى الجرأة... بل إلى قليل من التشجيع... فقد احتواها بين ذراعيه بقوة وطبع قبلة حارة على خدها.

وجدت زميلتها في الفراش تبتسم ابتسامة أقلقت ماري لأنها تعني أن ساندي لم تعرف بعد إلى أي نوع ينتمي ذاك المدعو روبرت. فلو عرفت



www.elromancia.com

حقيقته لما ابتسمت أبداً هذه الابتسامة!

في اليوم التالي انتقت ثيابها بحذر شديد، فهي ستقابل ريك ستيل. كانت البذلة السوداء التي ارتدتها بعيدة كل البعد عن الاغراء وكذلك بالنسبة للقميص الأبيض الذي ارتدته تحتها. مشطت تجاعيد شعرها جيداً حتى أصبح أملس... ولم تضع شيئاً من الماكياج. فهي لا ترغب أبداً في جذب اهتمام ريك ستيل.

لكن هذا ما ظنته هي، لأن نظرة الاعجاب التي رمقها بها دون ديكسون عند دخولها المكتب أعلمتها بأنها فشلت في مسعاها.

عند الساعة العاشرة والنصف دخلت ماري المطبخ لتعد القهوة للسيد ديكسون... فأعدت فنجانين... ثم وضعت الصينية على طاولته دون أن تتكلم... وقفلت عائدة إلى طاولتها... في هذه اللحظة أطلّ عليها ريك ستيل.

لم يجفله منظرها إطلاقاً بل وهبها ابتسامة عريضة وهو يدنو من طاولتها، كطفل سعيد برؤيته لعبته...

ـ مرحباً يا قطتي! أما قلت اننا سنلتقي ثانية؟

تجاهلته ثم سارعت إلى مخابرة السيد ديكسون عبر الهاتف الدّاخلي.

ـ السيد ستيل هنا سيدي.

ـ أدخليه يا ماري... أدخليه!

انحنى ريك إليها:

ـ هذا غير لطيف... لقد أردت محادثتك بضع دقائق أولاً.

فوقفت وسارت نحو الباب المشترك:

ـ السيد ديكسون سيقابلك الآن...

لكنه بطريقة ما تمكن من الوصول إلى الباب قبلها. فمنعها بطريقة فعّالة من فتحه. مع ذلك حافظت على برودتها.

ـ ألن تدخل؟

ـ لا... هل تتعشين معي الليلة؟



ـ آسفة...

ـ لماذا الرفض؟

ردت بإصرار:

ـ لأنني لا أريد.

قطب حاجبيه مفكراً:

ـ من أين لك هذا الانطباع السيء عني؟

ـ قولك غير صحيح...

ـ بل هو صحيح.

بدا التوتر في صوتها:

ـ هلا دخلت سيدي... فالسيد ديكسون ينتظرك.

ـ لكنني لست مستعداً بعد للدخول إليه.

مد يده ليمسك رباط شعرها عند مؤخرة عنقها.

ـ أتصور أنك ربطته من أجلي.

جذبها ببطء، ثم أفلت شعرها من عقاله فانتشر على وجهها.

ـ لكن ألا تعرفين... إنك ستبقين أجمل امرأة تمشي على ساقين وإن ارتديت كيساً؟

طوّقت ذراعاه خصرها وجذبت يداه جسدها إليه. كان كالأفعى التي تقوم برمي سحرها على أرنب، وأمام ذعرها، أحست بأنها لن تستطيع التحرر منه. فراحت تدير رأسها يميناً وشمالاً لتتجنب اقتراب شفتيه منها، فهي لن تطيق لمسته أبداً. كانت أسيرة ذراعيه. لكن عينيها قدحتا بنيران الكره عندما أدنى منها وجهه أكثر فأكثر.

كان عناقه عناق خبير... حركات يديه بطيئة وجذابة وأطراف أصابعه تلامس بشرتها بقوة... ونعومة. لكن جسدها بقي متوتراً متصلباً يقاوم.

رفع رأسه أخيراً:

ـ أيتها القطة... دعك من مقاومتي!

ـ أنا لست...



www.elromancia.com

- ماري... هل...

وقف دون ديكسون أمام باب مكتبه مدهوشاً:

- لم أفكر فيما يؤخرك عن الدخول يا ريك... يبدو أنني تقدمت في العمر أكثر مما ظننت!

انتزعت ماري نفسها من ذراعيه، وعادت إلى طاولتها:

- سأهيىء لك الرسائل حالاً سيد ديكسون.

- لا عليك... إنها المرة الأولى التي أرى فيها سكرتيرتي مضطربة، وأنت السبب!

التفت إليها ريك قائلاً ببرود:

- أراك فيما بعد أيتها القطة.

ودخلا الغرفة ثم أقفلا الباب وراءهما.

ضربت على آلتها الطابعة. فارتفعت المفاتيح وتشابكت ثم رفعت يديها إلى وجهها... اوه... لماذا سمحت له بالتمادي؟

أكملت عملها بإصرار... بينما الرجلان يتابعان محادثاتهما في المكتب الداخلي... رن جرس الهاتف الداخلي:

- ماري آتيني بملف كليمنتون.

مشروع كليمنتون أهم مشروع للشركة في الوقت الحالي فلماذا يا ترى يريد عرضه على ريك ستيل؟

بعد قليل دخلت المكتب، متجاهلة الرجل الجالس أمام دون ديكسون... مع أنها أحست بالطريقة التي يرمق فيها «ساقيها الرائعتين» كما سماهما... تبا له لا يحق له أبداً أن يرمقها بهذه الطريقة!

راقبه دون ديكسون وهو يقف مسرعاً إلى الباب ليفتحه لها. لكنها رفضت أن ترفع نظرها إليه شاكرة. وسمعته يتمتم:

- أنا بحّار.

فأجفلت، ورفعت نظرها إليه ثم ردت بصوت مرتفع:

- استميحك عذراً؟



بدت الحيرة على دون:

- أجل... ماذا تعني بقولك هذا يا ريك؟

اضاءت وجهه ابتسامة كسولة فالتفت إليه:

- كنت أقول لماري انني أحب الإبحار...

وأعاد نظره إليها:

- ربما تحبين مرافقتي يوماً؟

فردت بصوت جاف، وهي تبتعد عنه:

- أنا أصاب بدوار البحر.

قال بنعومة وهو يقف بين المكتبين:

- قد أشفيك منه.

ردت ماري بعد وصولها خلف طاولتها:

- لا أحب أن أشفى.

نظرت إليه بثبات، فعلمت من اشتداد فمه الساخر أنه فهم معنى كلامها المزدوج. فسألها بجفاء:

- أتعنين أن الشفاء قد يكون أسوأ من المرض نفسه؟

رفعت رأسها بكبرياء:

- دون شك.

قال بصوت ملؤه اللؤم.

- هل جربته يوماً؟

فردت ببرود:

- مراراً.

- و... النتيجة هي نفسها دائماً؟

- دائماً.

- لعلك أبحرت مع الرجل غير المناسب.

فضغطت على أسنانها:

- لا... لا أظن أن هذا هو السبب سيد ستيل!



www.elromancia.com

ـ ألا تظنين؟

فردت متصلبة:

ـ لا... ولا أظن كذلك... أن ذلك يروقني.

فتمتم ساخراً:

ـ يا للأسف... فالأمر ممتع جداً...

إعاد للالتفات إلى دون ديكسون:

ـ لقد كنت على وشك إخباري عن مشكلة كليمنتون.

ثم أقفل الباب وراءه.

غاصت ماري ببطء في مقعدها... يا إلهي... لماذا تركته يشركني في حديث كهذا! فهما ما تحدثا عن الإبحار إطلاقاً!

بدا للمرة الثانية وكأنه قادر على قراءة أفكارها وهذا ما أغاظها، وما جعلها تخوض في ذاك الحديث السخيف.

المشكلة... أن ريك ستيل... قادر على جعلها تتصرف بطيش فهو ما إن يقف أمامها... حتى ترغب في أن تهاجم الجميع.

●●●



## ٤ ـ الشَّريك الجديد

واظب ريك في الأيام الثلاثة التالية على المجيء إلى المكتب. وما إن حل مساء الجمعة حتى كانت ماري على وشك الانهيار... فقد أرهقها ذاك الرجل بإصراره على دعوتها للخروج معه ولو جرّاً وكان لإصراره ذاك دوره في دفعها للقبول بدعوة هامش في وقت ما كانت تريد أبداً الخروج معه.

دعاها ريك لسهرة السبت، وكالعادة رفضت... دخل هامش بعد دقائق يدعوها فقبلت دعوته بسرعة بعد أن تذكرت تصميم ريك. وعندما كرر ريك دعوته قالت له بصدق إنها مشغولة بموعد آخر.

ـ وهل هو ماينارد؟

ـ أجل.

هز رأسه.

ـ إنه لا يعني لك شيئاً...

امتقع لونها... ثم قالت ساخرة:

ـ كيف لك أن تعرف؟ لا تقل إنك تعرفني؟ فأنت لا تعرف شيئاً سيد ستيل! ولن تعرف أبداً!

ـ لن أعرفك؟

ـ بالطبع لا!

ـ لولا معرفتي أنك تبغضينني حقاً لما...

ـ أوَ تعرف أنني أبغضك؟

ـ آه... أجل... أعرف، أيتها القطة، لكن ذلك لن يترك أثراً أبداً.



www.elromancia.com

ـ أثراً على ماذا؟

ـ على خطط زواجي منك.

ـ اوه... بالله عليك...

وقفت من الغضب:

ـ قال السيد ديكسون إنك يجب أن تدخل إليه مباشرة بعد العودة من الغداء. وسأكون شاكرة إن فعلت.

وقف ببطء... رغم حذائها العالي كان أطول بخمسة عشر سنتيمتراً.

ـ سأفعل أي شيء يسعدك أيتها القطة.

ـ أي شيء؟

تحدى توقها:

ـ طبعاً ضمن المعقول.

ـ ابتعد عني إذن.

ـ هذا المستحيل على ما أعتقد فلن أبتعد عنك حاضراً أو مستقبلاً.

ـ لماذا؟

فرد ساخراً:

ـ هل تريدين حقاً جواباً عن هذا السؤال؟

فتنهدت:

ـ لا.

فقال راضياً عن نفسه:

ـ جيد... إنني أتعبك... شيئاً فشيئاً، أليس كذلك؟

تركها لينضم إلى دون.

لم تصدق ماري أنه قادر على تكدير حياتها للمرة الثانية... لا بل الثالثة: فالأولى كانت يوم انتحر والدها والثانية يوم تخلّى عنها جيدون والثالثة يوم قرر ابن جورج ستيل ملاحقتها... اعتقدت في البدء أنه سيمل منها بعد رفضها المتواصل. لكن العكس هو ما حدث، لأن رفضها زاده إصراراً على كسب ودها. واليوم ضاعف جهده بذكر نيته في الزواج منها.



ويبدو كأنه قد قرّر كل شيء، وأن لا شيء يعيقه سوى دفاعاتها.

كان يحضر إلى المكتب كل يوم. وها هو اليوم يحضر أيضاً اجتماع الموظفين الأسبوعي جالساً قرب دون ديكسون، مسترخياً مبتسماً كقط سرق حليباً من وعاء ما.

في هذا اليوم، وفي هذا الاجتماع وقف دون بعد أن طلب من الجميع الصمت ثم قال:

ـ أنتم دون شك لاحظتم وجود ريك ستيل المتواصل في الشركة خلال الأسبوع الفائت... وأنا الآن أعلن أن وجوده ابتداءً من الاثنين سيصبح دائماً. فكما تعرفون جميعاً أنني كنت أفكر في التقاعد منذ مدة. وبما أن ريك رضي بأن يحتل مكاني، وأنا واثق من أنكم جميعا ستوافقون الرأي...

عند هذا الحد لم تستطع ماري المضي في الإنصات أو في تسجيل الملاحظات. ريك ستيل سيعمل في المؤسسة وسيحلّ مكان دون ديكسون في إدارة الشركة! يا ترى أين سيصبح موقعها وهي سكرتيرة المدير؟ لن تكون سكرتيرة ريك!

عند نهاية الاجتماع، خرجت مع الجميع، مصدومة حتى الصميم. لماذا لم تستنتج أن دون ديكسون يدرس أمر تعيين هذا الرجل مكانه؟

سار هامش قربها:

ـ هذا انقلاب تام في النظام.

ـ صحيح...

كان صوتها مرتجفاً فيه ريبة، وهو لا يشبه أبداً صوتها الواثق المعتاد.

ـ كان لدي فكرة عن هذا بالطبع...

ـ وهل كان لديك فكرة؟

ـ أجل... فمن دواعي فخر دون ديكسون الحصول على شريك مثل ريك ستيل المحامي البارع.

جلست إلى طاولتها:

ـ كنت أظن أنه عندما يحين الوقت، سينتقي موظفاً من موظفي الشركة.



www.elromancia.com

هزّ هامش رأسه:

ـ لم يكن هذا ظاهراً. وأستطيع القول أن دون كان يفكر فيه منذ مدة. وأنا أعتقد أنه لن يجد خيراً منه رجلاً يحل مكانه فريك ستيل هو الرجل الذي تحتاجه هذه المؤسسة.

ما إن أصبحت في مكتبها حتى طبعت استقالتها، دون أن تهتم لما قد يظنه العاملون في الشركة، فعليها الرحيل في أسرع وقت ممكن... فإن استقالت اليوم فهذا يعني أنها قادرة على ترك العمل بعد أربعة أسابيع... كيف ستصبر عليها وهي ترى أن هذا الأسبوع قد طال كثيراً. لكن متى سيستلم ريك هذا المنصب؟

دخل ريك ستيل... فقالت بجفاء:

ـ أهلاً بك في مؤسسة ديكسون سيد ستيل.

أخرجت استقالتها من الآلة الكاتبة ثم وضعتها في مغلف.

التوى فمه، وبرقت السخرية في عينيه:

ـ ليتك قلت هذه الكلمات بصدق. لكن المرء لا يفوز بكل شيء دفعة واحدة.

احمرّ وجهها وهي تطبع اسم السيد ديكسون على المغلف.

ـ ما هذا؟

التقط الرسالة ثم قرأها، فقالت متصلبة:

ـ هذه رسالة خاصة.

ـ كانت خاصة... ويجب أن تعرفي أن كل الرسائل التي سترد من الآن وصاعداً إلى هذا المكتب يجب أن تمر بي أولاً... ما معنى هذا؟

جلس على حافة الطاولة، وقد انحسر عن وجهه كل أثر من مزاح وحل مكانه التجهم. التوى فمه بسخرية.

ـ الرسالة واضحة.

ـ اوه... أجل واضحة. لذا أريد تفسيراً.

فأشاحت وجهها عنه:



ـ ظننت أن التفسير واضح أيضاً.

مد يده بخشونة إلى ذقنها ليدير وجهها بقوة إليه:

ـ ربما. أتستقيلين بسببي؟

نظرت إليه بثبات، وقد أحست بعدم الراحة من جرّاء أصابعه التي تمسك وجهها.

ـ أجل.

فجأة زال كل مرحه ومزاحه وأصبح رجلاً قاسياً لن يوقفه شيء عن الوصول إلى مآربه... في تلك اللحظات بدا كأبيه تماماً. نزعت ماري رأسها من يده فسببت لها تلك الحركة ألماً.

ـ ستتركين المؤسسة... تتركين وظيفة تحبينها لأنك بكل بساطة لا ترغبين في العمل معي؟

ردت دون عجلة أو تردد:

ـ نعم!

ـ أتكرهينني إلى هذه الدرجة؟

ـ نعم!

فسحب نفساً عميقاً خشناً:

ـ وإذا طلبت منك العدول؟

لم يكن من يكلمها الآن ريك ستيل الذي التقته في حفلة زفاف جنجر منذ أسبوع... بل محام ناقد علمت من نظرته المصوّبة إليها أنه قد يكون أكثر خطراً وفتكاً من أبيه يوم كان في أوج مجده المهني.

فردت عليه:

ـ لا فرق... عملت في المؤسسة سكرتيرة للسيد ديكسون، لذا أفضل ترك العمل بعد تقاعده.

ـ لا أظن أن مسألة توظيفك كانت مدار بحث بيني وبينه. وكنت أعتقد أن لدون ثقة بولائك للمؤسسة، لكن إذا كنت تفضلين العمل مع ابنه بيتر... فسأجد حلاً.



www.elromancia.com

ـ لكن جنجر هي سكرتيرته.

ـ وهذا سبب وجيه يدفعني إلى التبديل. فليس من المستحسن أن يعمل الرجل وزوجته معاً.

أحست بالغضب:

ـ أنت... لا تظن؟

ـ لعلك لم تفهمي الوضع بجلاء يا ماري... بل لعلك لم تصغي... فلقد أصبحت الشريك «الأكبر» وفي المستقبل ستعرف المؤسسة «بستيل وديكسون».

ـ لكن بيتر...

ـ يعرف كل شيء. وهو موافق منذ زمن. ومع ذلك فلست أفهم سبب دفاعك عنه. إلا إذا كان بيتر بالنسبة لك أكثر من صديق.

فشهقت ماري غضباً:

ـ كيف تجرؤ على هذا الكلام؟ كيف تجرؤ على قوله لي؟

ـ أؤكد أنني أستطيع قوله بكل سهولة... لكن ردة فعلك تؤكد أنني مخطىء هذه المرة.

ـ هذا مؤكد!

ـ أجل... لقد عرفت هذا. لكن ألا يمكنك التراجع عن استقالتك بضعة أشهر فقط؟

ـ أنا...

ـ ريك، يا فتاي العزيز.

دخل دون ديكسون الغرفة:

ـ وماري... عزيزتي. أرجو أن تسامحيني على إعلاني المفاجىء اليوم، لكنني واثق من أنك ستوافقين على أن ريك هو كسب لأي شركة يعمل فيها.

ـ ربما لا تشاركك ماري رأيك يا دون.

فبدأت تقول:



ـ أنت محام بارع و...

فقاطعها دون مؤكداً:

ـ إنه بارع فعلاً. لا أعلم كيف استطعت إقناعه باستلام إدارة مؤسستنا.

لعقت شفتيها متوترة:

ـ لكنني فوجئت... فقد ظننتك ستتقاعد في السنة القادمة.

بدا دون غامضاً، ابتسامته انطفأت فجأة.

ـ عاد ريك قبل الأوان... حسناً يا ماري... لقد كانت ايزابيلا تطالبني بإجازة لسنوات الآن. وهكذا قررت أن أسافر معها في الأسبوع القادم.

ـ... القادم؟... لكن!

توقفت عن الكلام عندما رأت نظرة ريك المحذّرة. ظهر سخطها بوضوح على وجهها، فهز رأسه ثانية، وبرز لمعان الغضب في عينيه، فما كان منها إلا أن عضت شفتيها لثوان معدودة، ثم نظرت بعدها إلى مخدومها العجوز.

رأت التعب حول عينيه، ولاحظت أن وزنه قد نقص... يبدو أنها لم تنتبه لحال مخدومها لانشغالها بمشاكلها. وسألته باهتمام مرح:

ـ إلى أين ستسافر؟

ـ فكرنا في أن رحلة إلى الانتيل ستكون رائعة. والآن، لدي بعض التفاصيل الصغيرة في مكتبي قبل أن أذهب يا ريك.

رد على العجوز:

ـ سأكون معك بعد لحظات. فما زلت أحاول إقناع ماري بأن سحري لا يقاوم.

فضحك دون:

ـ حظاً موفقاً يا بني. فالحظ هو ما تحتاجه حقاً.

ـ شكراً لك.

مرح ريك ستيل تلاشى ما أن عادا وحيدين. جلست ماري منهكة شاحبة:



www.elromancia.com

ـ ألا عطلة؟

ـ لا... ليس قبل مدة طويلة.

ـ دون ليس بصحة جيدة... أليس كذلك؟

ـ أجل... قلبه مريض...

ـ لكنه مريض منذ سنوات.

رد عليها ببطء وقد ضاقت عيناه:

ـ أكنت على علم به؟

فهزت رأسها بنفاذ صبر:

ـ أنا من كنت أذكره دائماً بمواعيد الدواء... وكنت على علم بالفحوصات التي يقوم بها دورياً والتي كان آخرها منذ أسبوعين... فماذا حصل له؟

ـ اكتشف الأطباء في الفحوصات الأخيرة أن حالته ساءت، وهو بحاجة إلى عملية جراحية.

ـ إذن فهو في الأسبوع القادم...

فهز رأسه بأسى:

ـ سيدخل المستشفى.

ـ يا إلهي... لكن جنجر... وبيتر...

ـ ليس لديهما فكرة عن ذلك فلو عرفا لألغيا الزفاف، وهذا ما لم يرده دون. لكن العملية خطيرة... لذا...

ـ أرسل بطلبك.

ـ أجل... أرسل بطلبي... ولا تهمني سخريتك... فليس سهلاً على المرء الاستغناء عن حياة كاملة في مهلة وجيزة كهذه.

ـ أنا آسفة... فقد عرفت الآن أن عودتك لم تكن سهلة بالنسبة لك.

ـ أشك في هذا... لكن تفهمك لا يهمني... بل دون هو من يهمني... فأنا هنا لأنه يريدني. فهو وبيتر كانا أقرب الناس إليّ، ولا أستطيع أن أخذلهما.



حدقت ماري إلى الفضاء، بعد أن أدركت الموقف وقالت وكأنها تكلم نفسها:

ـ وأنا أيضاً لن أخذلهما، فواجبي يحتم عليّ البقاء في المؤسسة؟

كان كلامها أمراً واقعاً... لا استفساراً.

هز رأسه وقد بدا لها أكبر سناً في تجهمه:

ـ هذا ما أظنه. لكن القرار أخيراً يعود إليك. فإذا تركت العمل في الوقت الحالي فقد ينزعج. لكن أحداً لن يفرض عليك البقاء لاحقاً.

إنها لا تستطيع الرحيل ولا تستطيع أيضاً البقاء! فهل ستقدر على العمل مع ابن قاتل أبيها؟ فجورج ستيل هو الذي قتله، هو الذي سحب الكرسي من تحت قدميه المرتجفتين.

لا شك في أن شيئاً مما تفكر فيه ظهر على وجهها... فقال ريك:

ـ حالما يعود بيتر من شهر العسل. أعدك أن تنتقلي إلى العمل معه. فقد تناسبني جنجر أكثر.

قبلت الجملة الأخيرة بقصد الإهانة، وهذا ما استنتجته من خلال بريق عينيه، لكنها لم تلتقط الطعم، بل هزت رأسها قائلة:

ـ أحسبه خير حل.

ـ حسناً يا ماري إذا كان هذا ما تريدينه. دعيني أؤكد لك أن علاقتنا من الآن وصاعداً ستكون عملية.

فرمقته ببرود:

ـ لكنها لم تكن يوماً غير ذلك.

فتمتم متجهماً:

ـ لو كان لدي الوقت...

فقالت متحدية:

ـ نعم؟

ـ لو كان لديّ الوقت لأذبت هذا الجليد حتى أصل إلى عظامك. لكنني حتى ذلك الوقت، سأتأكد من بقائك سكرتيرة كفوءة.



www.elromancia.com

ـ لكن السيد ديكسون ما اشتكى يوماً.
ـ أنا لست مثل دون... ولي طريقتي الخاصة في العمل.
ـ أؤكد لك، أن كرهي لن يؤثر على قدرتي العملية.
فتمتم:
ـ ليتني واثق من رغبتي فيك... لكن الزفاف وحده سيكشف عن هذا.
سيمر الوقت أثناء العمل مع هذا الرجل بطيئاً.
غادر ريك مكتب دون بعد نصف ساعة، وتوقف عند طاولتها:
ـ سأراك صباح الاثنين، في التاسعة تماماً.
ـ سأكون هنا.
فقال ساخراً:
ـ أنا واثق من هذا. أيتها الآنسة دالمونت!
بعد لحظات من خروجه، استدعاها دون، فدخلت وقد رسمت على وجهها ابتسامة، تحمل دفتراً وقلماً استعداداً لكتابة ما قد يمليه عليها.
ـ لا داعي إلى التظاهر يا عزيزتي، فقد أخبرني ريك أنك على علم بوضعي.
تلاشت بسمتها فوراً وكادت تنهار:
ـ اوه سيد ديكسون...
وتقبّل ما ظهر من أسى وحزن عليها.
ـ أعلم... أعلم... لكنني سأخرج من المستشفى قبل أن تعرفي. وعندها سأسافر وإيزابيلا في رحلة إلى جزر الانتيل. وعندما أعود سأتولى منصب المستشار في المؤسسة.
ـ أنا واثقة من قدرتك.
حاولت اخفاء الدموع أمام الوجه الشجاع الذي بدا متأثراً أكثر مما يُظهر.
ـ والآن... ما أريد حقاً أن أقوله إنني سعيد لأنك قررت البقاء سكرتيرة لريك. إنه رجل رائع ونحن محظوظون به.



ـ أنا واثقة من كلامك.
ـ في الواقع ما كان يجب أن ينضم إلينا حتى العام القادم مع العلم أن عملنا ليس من ضمن اختصاصه لكنه سيكون إدارياً ناجحاً. لقد ترك مستقبله في انكلترا وعاد إلى هنا من أجلي. لذا لا أدري كيف سأكافيه صنيعه.
ـ لماذا لا يستلم مكتب والده؟
فهز كتفيه:
ـ لا أعرف القصة الكاملة، وما أعرفه أنه ووالده ليسا على وفاق. على كل جورج متقاعد الآن.
إن لم يكن على وفاق مع والده فهذا قد يعني أنه غير سيء كما تعتقد. لكن حتى هذا الأمر لن يغير الواقع. فهو يحمل دم أبيه.
في اليوم التالي بعد أن خرجت صديقتها ساندرا أحست بالسعادة وهي تستلقي على مقعدها رافعة قدميها وأمامها فنجان القهوة وصحيفة الأحد.
عانت الأمرين خلال الأسبوع الماضي، وهذا يعني أنها بعد انتهاء الأسابيع الأربعة القادمة ستكون على شفير الهاوية. ولعل ما كان يهدئها بعض الشيء أن ريك لم يكن أقل منها توتراً. وإن يكن لتوتره أسباب أخرى. لكنها تمتعت خلال الأسبوع الماضي وهي ترى رغبته فيها تكاد تحرقه من الداخل.
هي لا تنكر إحساسها بالسعادة وهي تصده، لكنها أيضاً ودت لو لم يلتقيا يوماً لأن تلك المرارة عادت إليها من جديد حتى كادت تقض مضجعها. عندما وصلت إلى هذه الفكرة استرعى اهتمامها مقال في الصحيفة ألمها وعصر فؤادها ومزقه إرباً إرباً.
كان يعلو ذاك المقال صورة لجيدون وعروسه السعيدة! وهي صورة تروي قصتها بنفسها...
ومع ذلك فقد قرأت المقال القصير تحت الصورة، وفيه تفصيل عن حفل الزفاف في اليوم السابق. أما العروس فقد كانت ابنة اللورد دكينهام.
أحست ماري بالاختناق ففي يوم أمس كانت الذكرى السنوية لموعد زفافهما الذي كان مقرراً منذ خمس سنوات!



www.al-romancia.com

## ٥ ـ نار وجليد!

كانت في قرارة نفسها تعيش على أمل واهٍ، تلاشى في هذه اللحظة وحل مكانه فراغ لن تملأه يوماً، وغضب حارق نحو من فعل هذا بها... نحو عائلة ستيل!

لن تقدر على الانتقام من جورج ستيل بعد أن تقاعد لكن ريك ستيل في متناول يدها... وهي تملك الوسيلة الناجحة للانتقام منه: رغبته فيها!

لم تبك ماري لأنه تزوج... فقد بكته منذ خمس سنوات... لكن الغضب استولى عليها، الغضب على عائلة ستيل وخاصة على ريك ستيل، فآل ستيل أمامهم الكثير ليجيبوا عنه... ولسوف يجيبون...

لم يظهر عليها أقلّ امتعاض في الصباح التالي وهي تقوم بواجباتها كسكرتيرة لريك ستيل. وإذا كانت قد مالت إليه أكثر من الحد اللازم عندما كانت تتقدم منه، أو إذا ارتفعت تنورتها أكثر من المعتاد وهي تدوّن رسائله فإنها كانت تتصرف وكأنها لا تلاحظ ما يحصل. لكن ريك ستيل كان يلاحظ. وكان يحدق إليها عندما يظنها لا تلاحظ نظراته وكان يشعر بها بقوة وهي تتحرك بهدوء في المكتب.

كان خارج المكتب في وقت متأخر من الصباح، عندما دخل عليها هامش فوجدت صعوبة في رفض الخروج معه، وإفهامه بأنها لن تقبل بعد اليوم. أما مزاجها فكان في أسوأ حالاته خاصة بعد الاتصالات الأربعة التي قامت بها امرأة تتكلم بلكنة انكليزية.

تلقى ريك رسائله دون تعليق وعندما أخبرته عن المكالمات المتكررة



من تلك المدعوة سانتيا التي لم تترك رقماً ليتصل بها، لم يظهر أقل اهتمام. لم تضع في حسابها عندما وضعت خطة الانتقام أن يكون لريك صديقة. فهذا أمر قد يؤخر التنفيذ.

بعد دقائق، خرج من مكتبه ليقول لها:

ـ سأخرج لتناول الغداء.

فردت ببرود:

ـ أجل سيدي.

وقف عند طاولتها:

ـ ألن تخرجي للغداء؟

ـ أشك في هذا.

اعتادت أن تطلب السندويشات من مطعم الشركة.

ـ أليس هناك هامش اليوم؟

اشتد ضغطها على فمها لهذه السخرية:

ـ هامش ليس صديقي... لقد خرجت معه مرتين فقط.

ـ منذ أن عملت في المؤسسة؟

ـ أجل.

قال بصوت منخفض:

ـ طلباً للحماية ماري؟

ـ تقريباً.

ـ ألن تَمُنّي عليّ بشيءٍ من التشجيع؟

فرفعت حاجباً ساخراً:

ـ وهل ستوافق سانتيا على هذا.

فابتسم:

ـ هذا ما أشك فيه... إنها مجنونة متملكة.

ـ إذن لا يجب أن تتركها منتظرة.

جلس على حافة طاولتها، وضغط جسده على آلتها الكتابة حتى عجزت

عن تحريكها. سألها:

ـ هل ستكونين من أولئك السكرتيرات اللاتي يعرفن كل شيء عن تحركات رؤسائهن حتى قبل أن يقوموا بها.

ارتد رأسها لتنظر إليه، فكان أن تدلى شعرها الحريري فوق كتفيها:

ـ اعتقدت أنك أنت القادر على قراءة أفكاري قبل أن تجول في خاطري.

ضاقت عيناه:

ـ كنت أظن ذلك.

ـ وماذا تخبرك عيناي الآن؟

تقدم منها ليرفع وجهها إليه:

ـ تقول...

فتشت العينان الرماديتان الباردتان في العينين الذهبيتين... قالت بإغراء:

ـ ماذا؟

هز رأسه، وعاد إلى الجلوس وهو يبتسم:

ـ إنهما تقولان ما ترغبين أنت في قوله لي... ولقد وضعت فيهما درعاً قوياً يا ماري.

أخفت توترها وهي تقول:

ـ هل أنت واثق من أنك لم تفقد سحرك.

فوقف ضاحكاً وقال ساخراً:

ـ سأعلمك عن الأمر بعد الغداء.

حدقت إليه، وهو يخرج من المكتب... إذن هي على حق أنه سيتغدى مع صاحبة الصوت المثير سانتيا. وما من شك في ذلك لأنه سيتأخر عن المعتاد.

لكنها كانت مخطئة فقد عاد في الوقت المحدد، وشقراء نحيلة صغيرة تتعلق بذراعه... هي دون شك سانتيا التي بدت في أوائل العشرين على



أبعد تقدير.

قدّمها ريك:

ـ أرادت سانتيا مشاهدة المكتب المزدحم الذي أبدلت به ذلك المكتب الفاخر المكيّف في لندن.

نظرت الفتاة الصغيرة بإعجاب إلى المكتب المثير:

ـ إنه ليس بالمزدحم يا حبيبي. والآنسة دالمونت ليست كما تصورتها.

فابتسم ريك إعجاباً بنفسه:

ـ حقاً؟ وكيف تصورتها؟

نظر إلى ماري ساخراً، فردت سانتيا دون تردد:

ـ أكبر سناً.

فضحك ريك:

ـ إنها جميلة مثلك يا سانتيا.

لاحظت ماري أن الفتاة قد أشرقت عندما غازلها. لكن نظراتها كانت باردة وهي تنظر إليها، إنه يتمتع بغيرة الفتاة الصغيرة، ولعله يأمل في أن يمتد بعضها إلى ماري.

ضاقت عينا ريك وقد أدرك ما يجول في خاطر ماري، فالتوى فمه ساخراً وقال لسانتيا:

ـ حان وقت ذهابك أيتها المجنونة، فلدي عمل ينتظرني.

ما أروع هذا؟ لقد خدمت سانتيا أغراضه، وآن الآن أوان الخلاص منها! استدارت ماري مشمئزة والتقطت بعض الملفات لتعيدها إلى مكانها وهي تحس بهما على مقربة منها.

لفت سانتيا ذراعيها على عنقه:

ـ الليلة يا ريك؟ أرجوك يا حبيبي! سأشعر بالوحدة بدونك!

ـ قد أكون مشغولاً الليلة.

لفّ خصرها بإحدى ذراعيه ثم جذبها إليه مبتسماً ليبعد صفة الرفض عن كلامه.



www.elromancia.com

- هل تعمل؟
- أجل.
نظرت إلى ماري بسرعة:
- مع الآنسة دالمونت؟
- ربما... فهذا وقف على قدرتي على إقناعها بالانضمام إليّ.
قالت بحماس:
- ستقنعها... فأنا أعرفك جيداً وأعرف قوة إقناعك.
فتحرك مبتعداً عنها:
- لا تدعي والدك يسمعك تقولين هذا الكلام! فقد يسيء فهمه.
مررت سانتيا أصابعها على صدره:
- لقد أرسلني إلى هنا لأقنعك بالعودة إلى لندن للعمل معه... بأية طريقة.
أبعدها ريك بحزم عنه... ثم قال:
- هو لم يقصد الإغواء يا آنستي. أما بالنسبة لعودتي إلى لندن... فأنا سعيد في هذا المكان.
التفتت سانتيا إلى ماري، وقد أصبحت عيناها كالبلور الصخري الأزرق:
- هذا ما كنت أخشاه.
فرد بخشونة:
- سنتكلم عن الموضوع غداً سانتيا... عندما أرافقك للعشاء.
جلست ماري إلى طاولتها وهي ترى الفتاة تعانق ريك، لقد نسيت تلك الساذجة الغبية غيرتها ما إن وعدها بمرافقتها غداً للعشاء... إن ريك قادر على ابتلاع مثيلاتها عند الفطور دون أن يحس بالشبع! فهي سهلة المنال له... وهو رجل يهوى التحدي، ويتمتع بالمطاردة أكثر في الصيد.
إنها تعرفه الآن أكثر من ذي قبل وهذا المطلوب فالقاعدة تقول: «اعرف عدوك»... وريك ستيل منذ الآن فصاعداً هو عدوها!
رن جرس الهاتف، فالتقطت السماعة بسرعة. إن الزبون الذي سيقابله



ريك بعد قليل موجود في الاستعلامات.
بقي الزبون معه ساعة... بعدها كان أمامها سباق مع الوقت، فريك بحاجة إلى تقرير سري يجب أن يجهز في الصباح الباكر.
رغم مهارتها في العمل وسرعتها في الطباعة فقد استغرقها وقتاً طويلاً. فعند الثامنة تقريباً سحبت الورقة الأخيرة من الآلة ووضعتها فوق الأوراق الأخرى على الطاولة.
عندما صمت ضجيج الآلة الكاتبة خرج ريك من مكتبه خالعاً سترته رافعاً قميصه مرخياً ربطة عنقه، راح يفرك مؤخرة عنقه بيده.
التقط آخر ورقة مطبوعة:
- هل انتهيت؟
- أجل.
أخذت تحرك كتفيها المتعبين اللذين لم تشعر بهما لشدة توترها في خضم استغراقها في العمل.
- هل تؤلمك؟
- قليلاً.
وضع الورقة من يده، ثم دار حول الطاولة ووقف خلفها مباشرة ثم راحت يداه تدلكان عنقها وكتفيها. سألها بعد لحظات:
- هكذا أفضل؟
كانت مشغولة جداً في مكافحة إرادة تدفعه إلى رفع يديه عنها لكنها لو دفعته عنها لخرّبت كل مخططاتها. فلعب دور صعبة المنال شيء وإظهار البغضاء شيء آخر. وقد أعلمتها لمسات يديه الآن أن الأمر لن يكون سهلاً.
- أجل... شكراً لك.
تحركت مبتعدة عنه دون إظهار شيء. ثم وقفت وكأنها بحاجة إلى الحركة... سألته:
- هل أنهيت عملك اليوم؟
هز رأسه إيجاباً:



www.elromancia.com

- سأوصلك إلى البيت.
- معي سيارتي.
- إذن تعشي معي.

تعابير وجهه دلّت على ترقبه الرفض كالعادة... في هذه اللحظة ودت قبول الدعوة لتجعله يفقد القدرة على النطق. لكن ما سيرضيها أكثر هو جعله يتحرق على نيران الانتظار فترة أطول.

- الليلة... سيكون الحمام الساخن والنوم المبكر كل ما أصبو إليه.
- ما أشدَّ إعجابي باقتراحك هذا!

تصلبت عندما قرأت الإغواء الذي يستتر خلف كلماته. لكنها تجاهلت فهم قوله عمداً:

- وأنا أيضاً معجبة به. هل لك أن تعذرني...
- ماري!

نظرت إليه ببرود:

- نعم؟

فهز رأسه، ثم استدار، صارفاً النظر عما كان سيقوله:

- لا تهتمي... سأراك في الغد.

قادت سيارتها إلى المنزل بثبات وكأن النيران لا تغلي في دمها.

ريك ستيل رجل يستغل النساء... وهو دون شك استغل سانتيا للوصول إلى العمل في شركة ابيها الصناعية... ويريد الآن استغلالها... إنما لأسباب أخرى. يريد استغلالها لإطفاء رغبته فيها. وما عرض الزواج إلا جزرة يعلقها أمامها... لكنه سيكتشف أنه بحاجة إلى أكثر من عرض زواج ليتمكن من الحصول عليها... لكن من المستحيل أن يحصل عليها وإن بزواج حقيقي.

أحست بالقشعريرة وهي تفكر في اللحظة التي ستخبره عن هويتها. عندها سيكتشف أنه تزوج من ابنة من يعتقده مجرماً لاحقه والده إلى أن انتحر... ثم ستنتقم... شر انتقام ممن كان السبب في انتحاره.



بقي ريك خارج المكتب ذلك الصباح، لكن كان لدى ماري عملاً كثيراً أبقاها مشغولة طوال النهار.

كانت توضب الملفات عندما دخل بعد الثانية عشر بقليل.

بدا متعباً، ورسمياً ببذته السوداء التي تنسجم كل الانسجام مع كتفيه العريضين، قال لها وهو يدخل مكتبه حاملاً حقيبة جلدية:

- القهوة.

عندما أدخلت القهوة بعد بضع دقائق مبتسمة لاحظت أنه يطيل النظر إليها وهي تضع الفنجان المتصاعد منه البخار.

- تبدين مرحة اليوم.

بقيت الابتسامة على فمها:

- أثمة ما يدعوني إلى الأسى؟

فاحتد صوته:

- هل وصلتك أخبار من المستشفى؟

فردت دهشة:

- المستشفى؟ أنا... دون...

يا إلهي! ماذا دهاها؟ فدون سيجري العملية اليوم وهي قد نسيت كل شيء عنها... بدا الجد في صوتها وهي تقول:

- أنا... لا. لم يتصل أحد. ها هي اللائحة بأسماء المتصلين.

كانت سانتيا في قمة اللائحة... صرفها ريك ببرود:

- اذهبي الآن إلى الغداء... فأنا قادر على العمل دون مساعدتك.

أحست بالغضب من نفسها! فمهما كانت شراسة معركتها مع ريك ووالده، فما كان يجب أن تترك هذا يؤثر على علاقتها بالآخرين... فدون وايزابيلا كانا طيبين معها في السنوات الماضية... وكذلك بيتر.

اتصلت بالمستشفى حالما عادت إلى طاولتها فجاء الرد:

- السيد ديكسون ما زال في غرفة العمليات. ستتصل بك بعد انتهائها؟

ارتفعت معنويات ماري بعد أن أقفلت الهاتف... وأدركت أن عليها أن



www.elromancia.com

تعيد تنظيم حياتها بطريقة ما. فلا يمكن أن تدع فكرة الانتقام تستولي على تفكيرها كله.

تناولت الغداء كالعادة مع ساندرا في غرفة استراحة الموظفين.

سألتها ساندرا من باب الفضول:

ـ كيف هي طبيعة العمل مع «الدينمو» البشري؟

ـ إنه... قادر تماماً.

ـ ووسيم تماماً... هل طلب منك الخروج معه؟

ـ لا...!

فضحكت ساندرا:

ـ لا تنكري... فبعد الطريقة التي كانت عيناه تلتهمانك بها في حفلة الزفاف، أعتقد أنّه يهواك. وأنا على يقين من أنه طلب منك الخروج معه.

ارتشفت ماري قليلاً من القهوة:

ـ حسناً... ربما دعاني.

ـ ورفضته! كيف ترفضين رجلاً كهذا؟

التوى فم ماري وهي تتذكر وسائل ريك في الملاحقة. لا شك في أن سحره قد أسقط نساء أصعب منها مراساً. وهو لم يقدر على سحرها لأن لها أسباباً تجعلها لا تجده جذاباً. ردت عليها:

ـ لم يكن الأمر صعباً.

فتأوهت ساندرا:

ـ أنت مجنونة.

رفعت ماري حاجبها:

ـ أتقولين لو طلب منك الخروج معه لقبلت؟

ـ حسناً... لا... لن أقبل... فالأمر مختلف... أجل الأمر مختلف يا ماري... فلدي روبرت... أما أنت... حسناً... فليس لديك صديق دائم.

فسألتها ماري ساخرة:



ـ حتام سيدوم روبرت؟

احمرّ وجه ساندرا:

ـ طلب مني مشاركته في السكن.

أبقت ماري وجهها دون تعبير متعمدة... فقد تعلمت هذا جيداً منذ كان والدها قيد المحاكمة، عندما كانت الصحافة تتوق إلى إيجاد أي ثغرة في واجهتها الهادئة. وكانت الصحافة قد أطلقت عليها يومها لقب: جبل الثلج الصغير. قالت ببرود:

ـ نعم... وبعد ذلك؟

سألتها زميلتها بعجلة وهي تعض على شفتها:

ـ هل تظنين أن ما سأقوم به جيداً؟

ـ إنه قرارك، وأنت الوحيدة التي يمكنها أن تقرر. هل يريد الزواج منك؟

فاحمر وجه ساندرا ثانية:

ـ في النهاية... أجل.

ـ لكنه ليس متأكداً.

ـ إنه يشعر بأن علينا أن نعيش معاً فترة تكون لنا تجربة.

بدت محرجة... فقالت ماري بهدوء:

ـ فهمت... وما رأيك بهذا؟

ـ أنا... لم أقرر بعد... إنه قرار خطير.

ليتها تبوح برأيها الصريح لساندرا، ليتها تقول لها إنها ستكون غبية إن وافقت على طلبه. فروبرت لن يتزوجها، ولكن إن قالت لها رأيها، وأنهى روبرت علاقته لهذا السبب، فستلومها صديقتها... وساندرا وحدها القادرة على اتخاذ القرار.

قال لها ريك وهي تعود إلى المكتب:

ـ تبدين كئيبة.

جلست إلى مكتبها دون استعجال... ثم قالت له:



www.elromancia.com

ـ أين تريدني في خانة المرح أم الكآبة؟
ـ في الواقع، لا في هذه ولا في تلك.
ـ صحيح؟
ـ صحيح. فأنا أفضلك بين ذراعي... بل في فراشي.
إنه يحاول إثارة أعصابها، وقد نجح... لأنها لم تستطع إيقاف دماء الخجل من زيارة وجنتيها. قالت له ببرود بعد أن نظرت إليه نظرة تصدّ أعتى الرجال.
ـ أخشى أن يكون ما تريده مستحيلاً.
ـ تخشين يا ماري؟ هذه خطوة إلى الأمام.
أجبرت نفسها على النظر إلى عينيه الفولاذيتين:
ـ حقاً؟
التوى فمه وهو يقول ساخراً:
ـ ها قد ارتفع ذلك الدرع في عينيك ثانية! فماذا يجري تحت هذه الأهداب؟
تنهدت ماري بصمت وقد ارتدّت إليها الثقة بالنفس، فقالت بصوت هادىء بارد:
ـ لا شيء إطلاقاً سيد ستيل... فماذا قد يكون تحتها؟
طريقته في معاملة المرأة جريئة فهو الصياد وهي الطريدة. وما عليها في الوقت الحالي إلا تركه يظن أنه يسيطر على علاقتهما. لكن إلى حد ما، فبعض ما يجذبه فيها ذاك الغموض الذي يلفها. هز رأسه قليلاً:
ـ لم استطع منذ الأسبوع الأول قراءة فكرة واحدة من عينيك.
فأطلقت عليه ما أملت أن تكون ابتسامة لعوب هي في الواقع أشبه بابتسامة انتصار، قالت بصوت منكسر:
ـ ربما يجب علي الآن أن أخفي أفكاري.
ـ ربما... حسناً... سأذهب إلى الغداء الآن... اوه... و... ماري...



ـ نعم؟
ـ لقد اتصلت المستشفى.
تهلل وجهها... فلا شك في أن الأخبار جيدة، لأنّ ريك ما كان ليمزح لو كان دون في خطر. وتحسن صحته يفسر تغير مزاج ريك عما كان قبل الغداء. تنهدت بارتياح:
ـ إنه بخير أليس كذلك؟
فضحك:
ـ أجل... سيوضع في العناية الفائقة بعض الوقت وإن كانوا لا يتوقعون أية مضاعفات.
ـ الحمد لله.
ـ هذا بالضبط لسان حالي. سأذهب لرؤيته مساء الغد، بعد أن يفيق من البنج. فهل تهتمين بمرافقتي؟
كان يتوقع الرفض كالعادة... حسناً بإمكانه التفكير في ما يشاء! لكنها هزت رأسها بالموافقة:
ـ أجل سأرافقك. أشكرك على طلبك هذا.
قد يكون رجلاً واثقاً من نفسه. رجل يثق بجاذبيته. لكن قبولها قد فاجأه فقال بهدوء:
ـ هل قلت... أجل؟
التوى فمها بابتسامة وهي ترى ذهوله:
ـ أجل... قبلت.
ـ وبعدها العشاء؟
كان يجرب حظه... فضحكت:
ـ لا أظن هذا.
فتنهد:
ـ أعتقد أن نعم واحدة ليوم واحد هي اختراق للجليد... حسناً ماري، سنذهب لرؤية دون معاً مساء الغد... هه... معاً. أظن أنني أحب رنة هذه



www.elromancia.com

الكلمة عندما تنطبق عليك وعلي. ومع قليل من الحظ، وقوة الإقناع التي قالت سانتيا انني أمتلكها سنحصل على أشياء كثيرة «معاً» أنت وأنا.

برزت على وجهه نظرة تعد بالكثير أثناء مغادرته الغرفة.

«معاً»... أجل سيكون لهما الكثير «معاً». لكن كل لحظة منها ستكون عذاباً لريك ستيل!

● ● ●



## ٦ ـ الأسوار تتداعى

ارتدت ماري مرة أخرى ثيابها بعناية خاصة استعداداً لأمسية الأربعاء لكنها اليوم سمحت لنفسها بارتداء ثوب مثير مغر.

كان الثوب الأصفر البالغ طوله حدود الركبتين يشبه «الكومينو الياباني» فهو ضيق جداً، تعلوه ياقة عالية وهو ثوب تحفظه للمناسبات الخاصة، وبما أن لهذه الليلة طبيعة خاصة فلا بأس بارتدائه... فهذه هي الأمسية الأولى لها مع ريك ستيل.

لم تكن واثقة تماماً من أنها مثيرة حتى تلقت ردة فعل ساندرا المعجبة بمظهرها! فقد شهقت عند خروج ماري من غرفة النوم:

ـ يا إلهي!...

كانت ماري تقفل السلسلة الذهبية حول معصمها، فرفعت رأسها عندما سمعت صيحة زميلتها العفوية... ابتسمت:

ـ أأبالغ بارتدائي إياه؟

فتأملتها ساندرا ثانية وقالت ببطء:

ـ لا... لا أظنك تبالغين... قد يكون ذلك إن كنت ذاهبة لزيارة السيد ديكسون فحسب أمّا وأنت خارجة مع ريك ستيل... فلا.

لم ترد ماري الظهور بمظهر أنيق فاضح. بل أرادت الظهور بمظهر جذاب لا يبدو أنها تعيه. فقالت بريبة:

ـ ربما يجب أن أغير ملابسي...

فصاحت ساندرا بحزم:



www.elromancia.com

- لن تقومي بشيء كهذا.
- ولكن إذا كان الثوب أنيقاً جداً ومغرياً...
- ما من ثوب أنيق مغر مع رجل مثل ريك ستيل... كما أنه لا يُعقل أن ترتدي سروالاً وقميصاً لزيارة السيد ديكسون...

قاطعتها ماري:

- لا يفترض بك أن تعرفي أنني سأزور السيد ديكسون فهو مسافر. أتذكرين؟

فردت ساندرا:

- لقد سمعت الخبر من مصدرين آخرين اليوم. وهذا خبر لا يُخفى بسهولة. أظنك رائعة في هذا الثوب فالسيد ديكسون على ما أظن بحاجة إلى شيء من البهجة.
- شرط أن لا أرفع له حرارته.

عندما وصل ريك إلى بيتها، لمعت عيناه إعجاباً، فحدجها بنظرة ممعنة التهم بها كل حنايا جسدها.

- هل غيرت رأيك بشأن العشاء؟ أم آكلك الآن؟

فردت عليه بصوت مرتفع:

- ادخل لأعرّفك إلى زميلتي في السكن.

تأملته ماري وهو يسبقها إلى الداخل... كم هو وسيم... وقفت ساندي أمامه متلعثمة بالسروال والقميص فابتسم، وصافحها بحرارة:

- آه... الوصيفة الأخرى. وسكرتيرة كول إبراهام.

ضحكت ساندرا:

- هذا صحيح.

نظر إلى ماري:

- لم أكن أعلم أنكما تتشاركان الشقة.

ردت ساندرا:

- نحن معاً في الشقة منذ سنتين.



لم تدهش عندما رأت السيارة الفخمة التي يقودها... كانت بورش حمراء رياضية، في مقاعدها الأمامية يشعر المرء بشيء من الألفة.

- إنها فتاة لطيفة.
- نعم.
- أما زالت تقابل ذاك الرجل الذي كان برفقتها يوم الزفاف؟

اتسعت عيناها دهشة من قوة ذاكرته.

- نعم.
- هه... وهل هو... يهجرها دائماً؟

يا لشدة ملاحظته... عليها أن تكون أكثر حذراً هذه الليلة. فروبرت ما كان يهجر ساندرا إلا إذا أراد «شيئاً» منها. وهذا الرجل عرف هذا من لقاء واحد به. لم تكن ترغب في مناقشة شؤون ساندرا معه فأجابت:

- ليس لدي أية فكرة.
- بل تعرفين... لكنك تقولين لنفسك ان علي الاهتمام بشؤوني... لكنها أعجبتني ولا أريد لها الأذية.

فردت ماري بصلابة:

- إنها فتاة ناضجة... على الفتيات الناضجات تحمل أعباء أخطائهن.
- كما تفعلين أنت؟

فردت بصوت عادي:

- آسفة؟
- حسناً... بما أن لك الكثير من الأصدقاء وتتفقين جيداً مع العجائز مثل إيزابيلا ودون... يخامرني اعتقاد بأنك لا تقلقين إلا من صحبة الشبان... أليس كذلك يا ماري؟ فهل أوذيت في الماضي؟
- أنسيت هامش؟
- أما قلت أنت نفسك انه ليس أكثر من صديق.
- صديق ذكر.
- الأمر ليس كما تذكرين. منذ متى وأنت دون صديق، صديق يُضحكك



www.elromancia.com

ويغازلك، دون توقف؟

فصاحت به:

ـ هل لك أن تهتم بشؤونك الخاصة؟

ـ هل كان لك صديق... أبداً؟

ـ بالطبع!

ـ منذ متى؟

أخذت ماري نفساً عميقاً فهو على ما يبدو يرغب في إرهاقها. وهذا ما لن تسمح به. إنه أوقح إنسان قابلته، يرغب فيها. ويرغب في أن يعرف كل شيء عن الرجال في حياتها. لذا يسألها عنهم بفظاظة ما بعدها فظاظة!

ردت بهدوء:

ـ كنت مخطوبة.

تزايد اهتمامه وعلت وجهه تقطيبة:

ـ ولماذا لم تتزوجيه؟

ـ لأنني غيّرت رأيي... وهذا حق للمرأة.

عندما دخل ريك بوابة المستشفى خفف من سرعة السيارة ثم اتجه نحو مبنى جناح دون.

ـ لو كنت مكانه لما تركتك تغيرين رأيك.

أوقف السيارة. ثم نظر إليها مباشرة.

ـ متى كان هذا؟

تحركت أنامله تعبث بخصلة من شعرها... سأل بحدة:

ـ منذ متى يا ماري؟

هزت كتفيها، ثم انحنت لتلتقط حقيبة يدها عن الأرض لكنها لمّا لاحظت أن الغضب قد تملك عينيه الرماديتين أجابت بخفة:

ـ منذ بضعة سنوات.

ارتفع طرف ثوبها عندما خرجت من السيارة، فبانت للحظات بشرتها الحريرية. بدا وكأنها لا تعي ما حصل عندما التفتت إليه.



ـ ألا يجب أن نصعد... أليست ساعات الزيارة محدّدة؟

أقفل الأبواب ثم ردّ:

ـ مرحلياً فقط. مع أن ايزابيلا معه معظم الوقت.

أمسك ذراعها ثم تبع الإشارات إلى جناح دون. لكنه لم يلبث أن أكمل سؤاله بإصرار:

ـ منذ متى تحديداً يا ماري؟

لم تستطع إخفاء دهشتها، وهي التي ظنت الموضوع قد انتهى. ولكن كان يجب أن تفهم أن عقل ريك الحاد كحد السيف لن يقبل بمثل الرد الذي قدمته له.

ـ أربع أو خمس سنوات... لست أذكر تماماً.

نظر إليها متجهماً:

ـ ألا تذكرين؟

ـ لا.

ـ لم تحبيه إذن؟

تمالكت الآن سيطرتها على ذاتها، وعاد إليها التعبير البارد:

ـ أعتقد أنني في ذاك الوقت قد أحببته.

رفع حاجبيه:

ـ وهذا لا تذكرينه أيضاً؟... همم! إن ذاكرتك لمذهلة يا ماري!

فقالت بحلاوة:

ـ أليست كذلك؟

فتحت باب غرفة دون التي نقل إليها ذلك الصباح فقط، فتلاشى من نفسها فوراً كل عداء. مد دون يده إلى ماري:

ـ يا عزيزتي...

ازدادت الحرارة في عينيه وهي تتقدم إلى جانبه. وقفت ايزابيلا وقد بدا وجهها مرهقاً من ضغط اليومين السابقين، وقد علت وجهها بسمة رضى لزوال الخطر عن زوجها.



www.elromancia.com

- وريك أيضاً.

قبّلها ريك ثم صافح دون. وقال بنعومة:

- لن نبقى طويلاً... فقط ما يكفينا من وقت للاطمئنان عليك. وهذا ما اتفقنا عليه فماري إلى الآن لم ترمني بشيء في وجهي!

ابتسم ساخراً في وجهها فتجاهلته، وقالت لدون بنعومة:

- هذا ما لا أنفي أنني قد أفعله.

ضحك العجوز لكن هذا الجهد البسيط بدا وكأنه أتعبه. قال لريك:

- أظنك قد التقيت أخيراً بمن هي أكثر من ندّ لك.

فقال ريك وهو يجذب كرسياً لتجلس ماري عليه:

- قد تكون محقاً.

فجلست على الكرسي برشاقة، متجاهلة الطريقة المتملكة التي يضع فيها يده على مؤخرة الكرسي، وأسلوبه الجميل في الحديث معها أو عنها... فإذا ظن أنه قد أحرز تقدماً، فستكون خيبة أمله أشد فيما بعد عندما تودعه بكل أدب!

عندما ودعا ايزابيلا ودون بعد نصف ساعة سمحت له أن يضع ذراعه عفوياً حول خصرها ليقودها خارج الغرفة. لكنها تعمدت أن تبتعد عنه في الممر، ثم حثت خطواتها إلى الأمام وهي تحس بنظراته المحبطة. فتح لها باب السيارة، ثم جلس خلف المقود:

- العشاء؟

- تناولته.

لفتت اهتمامه إلى ساقيها وهي تملس القماش الحريري فوقهما. فقال بحزم:

- لكنني لم آكل.

فهزت كتفيها:

- تعشّ في أي مكان بعد أن توصلني إلى منزلي.

- أفضل أن ترافقيني.



- أريد غسل بعض الثياب هذا المساء.

- اوتش... ! هل أجيء في المرتبة الثانية بعد الغسيل القذر؟

إنه ليس بالنسبة لها في المرتبة الثانية حتى. نظرت إليه بعينين باردتين:

- في الواقع... إن لم أغسل، فسأكوي أو أنظف الشقة...

- حسناً... حسناً، فهمت الرسالة.

كبحت ابتسامة رضى بجهد... فهو دون شك لم يعجب بهذه الصفة التي أصابت غروره. في هذه اللحظة أحست واثقة أن سانتيا كان يمكن لها أن تلغي أي شيء في سبيل قضاء أمسية معه.

سألته بفضول:

- ألا تأكل أبداً في البيت؟ وهل تناولت العشاء في الخارج أمس مع سانتيا؟

- أنا آكل في المنزل... نعم لقد خرجت مع سانتيا ليلة أمس. فإذا كنت تعرضين عليّ طهو العشاء...

فردت بحدة:

- لا... أنا لا أعرض عليك شيئاً.

- هذا ما ظننته. لكن لو أحسست برغبة في تجربة خبرتك في الطهو على شخص ما... فأنا حاضر دائماً.

فرفعت حاجبيها:

- وكيف ستشعر سانتيا حيال هذا؟

هزّ كتفيه:

- إنها تجيد الطهو.

- هذا مؤسف! لكنني واثقة من أن لديها... مهارات أخرى...

كان رده قاطعاً عندما قال:

- لست أدري... فهي عادت منذ مدة وجيزة من المدرسة الداخلية الفخمة التي أرسلها إليها والدها... وأنا لست ممن يغوي الأطفال. يا إلهي يا ماري! أنا في التاسعة والثلاثين وهي لم تبلغ العشرين بعد.



www.elromancia.com

- وما معنى هذا؟
- هذا يعني أنني لا أتورط مع قاصرات.
أوقف السيارة خارج المبنى الذي تسكن فيه:
- لكنني سأعمد إلى تذويب جبل الجليد!

جذبها بقسوة إلى ذراعيه حالما أنهى كلامه. لكنها لم تقاومه، ولم تتجاوب معه كذلك بل بقيت سلبية غير حيوية، تاركة يديه تبحثان عن الدفء دون جدوى... تأوه:

- يا قطتي! لا تكوني باردة يا حبي... استجيبي لي!

أجفلت ماري عندما استخدم أوصاف التحبب هذه وكرهت ملمس شعره الأسود الناعم على خدها، والإحساس بيديه حولها. فجأة عاودتها صورة مبهمة لوالدها وجورج ستيل في الصفحات الأمامية في صحيفة ما زالت تذكرها، كانت ابتسامة الرجل منتصرة وابتسامة أبيها حزينة.

جذبت نفسها بعيداً عنه ثم نظرت إليه بعينين مليئتين بالدموع:

- لا.
- قطتي...
- توقف... توقف عن هذا! أقول لك ان اسمي ماري، ولست قطتك! وجليدي لن يُذاب، أقله ليس على يديك!

أمسك ذراعها.

- ماري أنا آسف. لم أقصد تكديرك. لماذا كل هذا الغضب؟

عضت على شفتها وقد أدركت أنها لم تتصرف كما يجب... كان عليها أن ترفض عناقه، لا أن تتصرف وكأنها مراهقة.

- لست غاضبة، لكني لا أحب أن أُعانق بدافع الغضب.
- أنا آسف... لديك كل الحق في إساءة الظن بي وبسانتيا... لكن أؤكد لك، إن كان يهمك الأمر، إنها ليست أكثر من ابنة مخدومي القديم، وهي ستعود إلى انكلترا في نهاية الأسبوع ولن أحس إلا بالراحة منها... تناولي العشاء معي في الغد أرجوك!



ترددت متعمدة، فلاحظت لمحة انتصار في عمق عينيه. أيحسب أنه ربح الجولة؟ أيعتقد حقاً أن اعتذاراً وشرحاً بأن سانتيا لا تهمه لها، أو بضع مداعبات قد تجعلها طوع بنانه؟ يا للمتعجرف الغبي...! أنت متعجرف كأبيك تماماً!

رفضت بقوة وهي تخرج من السيارة:

- لا أظن هذا... سأكمل كوي ملابسي في الغد.

صفقت باب السيارة وراءها، ثم سارت الهوينا وهي تدخل المبنى، لأنها على يقين من أن غضبه سيمنعه من اللحاق بها. سمعت هدير محرك سيارته تنطلق مسرعة. فارتسمت ابتسامة على وجهها.

صباح يوم الجمعة بعد يومين من الجفاء بدا وكأن مزاجه العكر لم يتغير فعندما عادت إلى مكتبها في ذاك اليوم. أحست وكأنها كانت تمر في عنق زجاجة. فربما قد تمادت أكثر من اللازم في تصريحاتها له أمسية الأربعاء. وهذا بالتأكيد ما يبدو. وعليها أن تفكر بطريقة ما لتقنعه بأنها رهن إشارته... ولكن إلى حد.

خرج من المكتب وقت الغداء دون أن يتفوه بكلمة، بل دون أن يعطيها فرصة لمحاولة إقناعه بشيء. فكان أن خاب أملها إلى درجة جعلت مزاجها في أسوأ حالاته وهي ترى سانتيا تدخل المكتب بعد خمس دقائق من خروجه. قالت للفتاة بشموخ:

- ريك... السيد ستيل خرج للغداء.
- إن هذا لمؤسف وأنا التي ظننتني مبكرة في المجيء. اوه... حسناً علي إذن أن ألاقيه في المطعم كما اتفقنا.

فهزت ماري رأسها:

- رافقتك السلامة يا آنسة... أتمنى لك سفراً سعيداً إلى بلادك في الغد.

اتسعت عينا الفتاة وهي تهزّ رأسها:

- السفر؟ لكنني لن أسافر.



www.elromancia.com

نظرت إليها ماري بثبات:

ـ لكن السيد ستيل قال إنك مسافرة غداً.

ابتسمت ابتسامة لم تكد تصل إلى عينيها ولم تستطع اخفاء كرهها لماري.

ـ لقد غيرت رأيي... أو بالأحرى ريك جعلني أغيّره... مع أنني لم أخبره بعد بقراري هذا. فأنا أريد أن أفاجئه به.

ـ أنا واثقة من أنه سيكون سعيداً به.

ابتسمت سانتيا.

ـ هذا ما أظنّه أيضاً. سرّتني رؤيتك ثانية يا ماري.

تركت، المكتب بالسرعة التي دخلته بها.

أدركت ماري أن ليس أمامها كثير من الوقت لتضيعه. فريك ليس مهتماً بهذه الفتاة كما تدعي... ولئن طلب منها تأخير سفرها. فهذا سببه ما قامت به هي، لذا لا يجب أن تترك لسانتيا موطىء قدم في حياة ريك.

عندما عاد بدا أفضل مزاجاً والسبب دون شك معروف. هبّت عن الكرسي متناولة سترتها بسرعة ثم اقتربت منه. وتظاهرت بأن قدمها انزلقت، وعندما أحست بذراعه تلتف حولها لتحميها تنهدت بارتياح.

تمتم وفمه قريب من أذنها:

ـ انتبهي... إنها هذه الأحذية العالية الكعبين التي تصر النساء على انتعالها.

أبعدها عنه فجأة، لكنها لمّا تأوهت متألمة، غطت وجهه سحابة قلق:

ـ هل آذيت نفسك؟

ـ كاحلي فقط.

رفعت قدمها وهي تعلم أن نظراته تلاحقه وهي تدلكه. استقامت، فالتقت نظراتهما، عيناها ممتلئتان شوقاً وفمها منفرج.

برقت الرغبة في عمق عينيه، فتقدم على غير وعي منه خطوة لكنه عاد فتوقف متردداً وهو يسألها بنعومة وقد هزه قربها منه:



ـ أيمكنك السير؟

ـ أظن هذا. أرجوك لا تزعج نفسك بي... فأنا أعرف أن لديك ما يكفيك من مشاغل.

قطّب جبينه وقد أحسّ بأنفاسها مقطوعة:

ـ دعك من السخافة... قد يحتاج كاحلك إلى كمّادات ثلج.

ردت بسرعة، وهي تتنقل بعرج خفيف:

ـ اوه... لا أظن الأمر بهذه الخطورة. سأكون على ما يرام بعد لحظات.

تركزت عيناه على ساقيها وبشرتها الناعمة الحريرية، التي لوحتها أشعة الشمس ثم قال بخشونة:

ـ أتعلمين أن لك أجمل ساقين مثيرتين؟

امتلأت بالسعادة والدفء. لقد نجحت... لقد نجحت! نظرت إليه وقد انخفض جفناها:

ـ أظنك قلت هذا من قبل.

تأوّه تأوهاً صامتاً.

ـ متى ستريحيني من بؤسي وتخرجين معي للعشاء؟

احمّرت عيناه كجمرتين ثم أخذت ذراعاه تتحركان بقلق إلى جانبيه، وكأنه يحاول لمسها. فابتسمت:

ـ ما رأيك الليلة؟

أمسكها:

ـ وهل تعنين هذا؟

ـ نعم... إلا إذا كنت مرتبطاً بموعد مسبق؟ مع سانتيا مثلاً.

ضمها ريك إلى صدره، وقال ممازحاً:

ـ لو كنت مرتبطاً لفسخت الارتباط... فما يجب أن تعرفيه أن الكلام في عائلتي ليس ارتباطاً.

علمت أنه يمازحها، وأنه يحاول إضحاكها، ولكن سخريته هذه لم



www.elromancia.com

تزدها إلا إصراراً على تحطيمه، كما تحطم والدها.

انفتح الباب وراءهما فجأة ودخل منه هامش غافلاً عما كان يجري في الداخل... وقف دهشاً عند رؤيتها بين ذراعي ريك:

- ماري... أنا آسف اعذراني.

ما أن غادر المكتب بسرعة حتى راقب ريك المشاعر التي اعتلت وجهها: أسفها، خيبتها، ثم أخيراً قبولها بما حصل. سألها بخشونة:

- هل تريدين أن ألحق به لأشرح له الموقف؟

- تشرح له ماذا؟

- حسناً... أننا... كنا... ولكن أشرح ماذا؟ لم يكن سوى صديق عادي كما قلت يوماً... أليس كذلك يا ماري؟

- صحيح.

امتدت يدها إلى عنقه. فقال لها محذراً قبل أن يضمها إليه بشغف:

- أنا لن أرضى أبداً... أبداً بمجرد صداقة فقط.

لم يكن في عناقه قوة... أو مطلب، بل محاولة اقناع لطيفة.

عانقها على سبيل التجربة في البداية، لكن عناقه لم يلبث أن تحول إلى شغف جعلها تستجيب إليه بعنف أذهلها. فما تقوم به ليس سوى تمثيلية فكيف لها أن تتمتع بهذا العناق مع ريك ستيل!

تلمس وجهها الشاحب:

- قطتي؟ هل يؤلمك كاحلك؟

أشرقت ابتسامتها:

- لا... متى ستأتي لترافقني الليلة؟

كان ريك يعمل عندما غادرت بعد الخامسة بقليل. لكنه أكدّ لها أنه سيحضر إليها عند الثامنة. ولسوء حظها التقت بهامش في موقف السيارات، فتنهدت قائلة:

- أنا آسفة يا هامش.

- وأنا كذلك. لقد ظننتك معجبة بي يا ماري.



- لكنني معجبة بك.

- ومعجبة بريك ستيل أكثر. ولعل للشريك الأكبر قدرة على تقديم ما هو أفضل مما قد يقدّمه مهندس عادي.

إذن، لقد آلمته أكثر مما تصورت، فالمرارة لم تكن يوماً من طبعه. وضعت يدها على ذراعه فأحست بتوتره:

- أنا حقاً آسفة. لم أقصد أبداً إيلامك. أردت فقط أن نبقى صديقين.

- أنت تعرفين أنني أريد أكثر من الصداقة.

- أجل... ولهذا لم أخرج معك مرة أخرى.

بقيت خيبة الأمل ظاهرة عليه، لكن غضبه كان أقل:

- إذن علاقتك معه جادة؟

- أنا... ربما.

فتنهد:

- إذن لم يبق أمامي سوى أن أتمنى لك التوفيق. تمنيت لو جرت الأمور في مسار آخر. ولكن ستيل منافس عنيد.

- اوه يا هامش...

ابتسمت له بعد أن لاحظت تجهمه فرد الابتسامة:

- حسناً... إنه كذلك. أتمنى لك السعادة معه... لكن إن لم تنجح علاقتكما فأنا موجود دائماً.

انحنى ليقبلها على خدها... فهزت رأسها بحزن:

- لا أستطيع فعل هذا بك... لكن أشكرك على أي حال.

وصل ريك إلى شقتها عند السابعة والنصف، متجهم الوجه، مرَّ بها وهو داخل إلى غرفة الجلوس دون أن يعيرها بنظرة حتى فهو لم يلحظ أنها ما زالت ترتدي روب الحمام، وإن كان شعرها جافاً وماكياجها تاماً ولم يبق أمامها سوى أن ترتدي الفستان.

لحقت به وهي دهشة من هذا التجهم الذي اعتلى وجهه فرأته ينظر من النافذة إلى الخارج. قالت له:



www.elromancia.com

- ظننتك قلت عند الثامنة.

- هذا صحيح.

رطبت شفتيها وظهرت عليها الحدة:

- أبكرت في المجيء... فأنا كما ترى غير مستعدة بعد...

- هل هو هنا؟

- هو؟

فرد بوحشية:

- ماينارد... هل هو هنا؟ ألهذا أنت عارية تقريباً. هل خرجت من الفراش معه الآن؟

فشهقت:

- بكل تأكيد لا! لقد استحممت لذا تراني أرتدي هذا الروب. ولماذا تعتقده هنا؟

فقال متنهداً:

- نافذة مكتبي تطل على موقف السيارات يا ماري... ولقد رأيتكما معاً، ورأيت كيف وضعت يدك على ذراعه بحنان، كيف قبّلك... خاصة كيف قبّلك.

إنه يغار... ريك ستيل يغار بوحشية وقوة! هي لا تكاد تصدق أنه قد يتصرف بعنف كهذا.

- ريك...

- لا تختلقي التبريرات يا ماري.

جذبها بقوة إليه.

- تحتاجين إلى ما هو أكثر من التبرير لإقناعي. ولإبعاد ذكرى قبلته من خيالي!

نظرت إليه دون خوف، ثم قالت بهدوء:

- وكيف أقنعك؟

- بهذا يا قطتي...



جذبها إليه بحنان، متأوهاً يضمها إلى ذراعيه بشغف بادلته إياه دون أن تشعر بشيء من الثورة أو دون أن تقاومه عندما مد يده يداعبها. تأوهت محاولة الابتعاد، لكنه منعها... ثم لم تعد راغبة في الابتعاد. بل ذابت بين ذراعيه مقنعة نفسها بأن عليها أن تظهر الاستسلام وأن تسمح له بمعانقتها، وملامستها، وإلا فلن تتأرجح فيه رغبة تصل إلى حد الامتلاك، إلى حيث يضطر إلى تحقيق أي مطلب تريده إرضاءً لها.

تعلقت بكتفيه وقد تلاشت قوتها وكادت أن تنهار... يجب أن توقف ما يجري... حالاً... فالسماح له بعناقها شيء وإغوائها شيء آخر. وهي إن لم توقفه الآن فسيطلب المزيد والمزيد.

سحبت نفسها بعيداً عنه مقطوعة الأنفاس ضاحكة ثم نظرت إليه نظرة أعلمتها أنه يجد صعوبة في السيطرة على نفسه، وأن الرغبة وحدها هي المستعرة في عينيه.

استقام في وقفته بصعوبة، مشعث الشعر... وقال بخشونة:

- آسف يا قطتي... عندما رأيت هامش يلمسك، امتلأت غضباً، غضباً بقيت ساعتين أقاومه... لم أقصد أذيتك... سامحيني!

علمت أن وثوقه بها يفقدها السيطرة عليه... فقالت بصوت هش لا تعبير فيه:

- سأنهي ارتداء ملابسي... استرح... فلن أتأخر.

أقفلت باب غرفتها ثم أسندت جسدها إليه تاركة لضعفها سبيله إلى الظهور الآن بعد أن أخفته عنه... كانت ساقاها ترتجفان... فتمتعها بلمسته انقلبت إلى نار مشتعلة، نار لاقت صعوبة في إخمادها، فالانجذاب إليه وإن كان مادياً بحتاً، شيء لم تفكر فيه عندما درست خطط الانتقام.

تعقّد الوضع في الوقت الحالي... لكنه تعقيد لا يصعب علاجه فهو وإن كان رجلاً متأجج العواطف إلا أنه ليس وحشاً. لذا تستطيع أن ترفضه في أية مرحلة من مراحل عناقهما وهو سيقبل لأنه سيحترم رغبتها.

لكن... ما لم تفكر فيه أنه قد يأتي يوم تعجز فيه هي عن القول:



www.elromancia.com

«لا».

كان المطعم من أفخر وأغلى المطاعم في ملبورن. والخدمة فيه ممتازة... وهي خدمة يبدو وكأن ريك معتاد عليها فهو يتقبلها بعجرفة جعلت الساقي أشدّ اهتماماً.

كان متحدثاً لبقاً، يخوض كل الموضوعات ببراعة من المسرح إلى السياسة المحلية والعالمية امتداداً إلى الكتب على مختلف أنواعها ومشاربها.

لم تدّع ماري التمتع بالحديث معه، فقد وجدت بينهما اهتمامات كثيرة مشتركة... وعندما كانا لا يتفقان كانا يتناقشان بهدوء. وبقيا على هذه الحال إلى أن سألها ريك عن عائلتها. عندها تلاشت كل متعتها بتلك السهرة وهي تتذكر من هو هذا الرجل الذي لم يعد بالنسبة إليها في هذه اللحظة رفيقاً مثيراً للاهتمام بل ابن من دمر حياتها، ومن سلب منها كل شيء تحبه، والدها ووالدتها، وخطيبها...

ردت عليه بحدة:

ـ لم يعد لدي من عائلتي إلا عمة أبي. وهي في مأوى العجزة... بناء على طلبها... وأنا مولعة بها.

ـ أستطيع رؤية هذا... ماري...

أسرعت تقطع عليه كلامه بسؤال:

ـ وماذا عنك وعن عائلتك؟

بدا رده بارداً:

ـ لدي والد فقط فأمي ماتت منذ سنوات عديدة.

ـ أنا آسفة... أليس والدك هو جورج ستيل؟

ـ أجل.

ـ إنه شهير!

ـ أجل.

ـ ريك...

ـ هل لنا أن نخرج من هنا؟ أريد أن أكون وحدي معك.



ابتسم كي يخفي حدّة كلامه، لكن هذا لم يثر فضولها. فلقد أخبرها دون أنه على خصام مع والده. أيمقت ريك شهرة والده؟ لكنها لا تظنه يغار على مستقبله المهني فهو ناجح.

عادا إلى منزلها بصمت غير متوتر لأن آخر صيحات الموسيقى الناعمة ملأت السيارة.

هذه الوجهة الموسيقية المشتركة لم يبحثاها تلك الأمسية وما أدهش ماري أنه يحب الموسيقى التي تحبها، ليس لأن تلك الموسيقى هي لأغاني المشاهير بل لأنها أغنيات رومانسية... هي لم تفكر فيه كشخص رومانسي حساس.

قال لها فجأة:

ـ لقد أعجبتني رائحة عطرك.

ـ صحيح؟

ـ نعم... يناسبك، ناري فيه لمسة رقة.

ضحك عندما أحس بها تحمرّ خجلاً:

ـ لقد ذكرني كثيراً بأن كل النار والإثارة التي فيه كانت بعيدة عن متناول يدي. أو هكذا كنت أظن.

حاولت إبعاد اهتمامه عنها... فسألته:

ـ وهل أعجبتك المفاجأة التي حضرتها لك سانتيا وقت الغداء؟

ـ أية مفاجأة؟

ـ عدم العودة إلى انكلترا.

ـ ألن تعود؟

أوقف السيارة أمام منزلها فتابعت:

ـ هي قالت ذلك. جاءت لرؤيتك وقت الغداء، ولكنك كنت قد خرجت... اعتقدت أنها أخبرتك عندما التقيتها... وأنا آسفة لأنني أفسدت عليها المفاجأة.

ـ بل هي صدمة... لكنني لم أقابلها في المطعم، أو في أي مكان آخر



www.elromancia.com

بل لم أرها منذ يوم الثلاثاء.

ـ لكنها قالت... لعلي أسأت فهمها.

خدعتها تلك الفتاة التي أحست بأن اهتمام ريك بها لم يكن عبثاً لذا قررت إبعادها عنه. فكان أن وقعت هي في الفخ! استجابت له كالطفلة، فغيّرت كل خطتها، وقبلت الدعوة في وقت لم تكن ترغب فيها. تباً لها!

خرج ليفتح لها الباب وهو يقول:

ـ كلانا يعرف أنك لم تسيئي الفهم... لقد قلت لك... سانتيا ليست إلا طفلة، تتصرف كالأطفال... فلما أدركت انجذابي إليك...

في تلك اللحظة توقفت سيارة أخرى أمام سيارته... وخرجت ساندرا من المقعد الخلفي منتحبة... فمرت بهما دون أن تراهما.

● ● ●



## ٧ ـ على درب الانتقام

قالت ماري بثبات:

ـ يجب أن أصعد إليها. أشكرك على هذه الأمسية الممتعة.

ـ قطتي...

ـ يجب أن أذهب... قد أتصل بك غداً؟

أعلمها اتساع عينيه أنه غير معتاد على أن يُصرف بهذه الطريقة وهذا ما سرّها. فعليها تركه دون دفاع ودون أن يشعر بأنه يسيطر عليها... أضافت ببرود قبل أن تبتعد:

ـ عمت مساء يا ريك.

بدا لها في تلك اللحظة وحيداً. منفرداً يقف في الشارع... قسّت قلبها، ثم دخلت المصعد... فهو لن يكون وحيداً والفتيات يجرين وراءه كظله.

كانت ساندرا في غرفة النوم مستلقية على وجهها منتحبة وكأن قلبها يحطّم:

ـ ساندرا...؟ ساندرا... مابك؟

سألتها ماري وهي تجلس على السرير. لكن ساندرا لم تجبها بل استمرت في البكاء حتى بدأ الكحل الأسود ينهمر مع دموعها على وجنتيها وقد أطل من عينيها الزرقاوين ألم عميق.

أعادت ماري السؤال.

ـ هل روبرت مريض؟



www.elromancia.com

فرددت ساندي بمرارة:

ـ مريض؟ ليته كان. وليتني كنت سبب مرضه!

شجعتها بهدوء:

ـ أخبريني ماذا جرى؟

فردت ساندي بنحيب متقطع:

ـ لديه... فتاة... أخرى... إنه يعرفها قبل... أن يخرج معي! هذا أسوأ مما تخيلته، ماري...

ارتجف قلبها حزناً على صديقتها:

ـ وكيف اكتشفت الأمر؟

فضحكت ساندرا بمرارة، ثم وقفت لتذرع الغرفة:

ـ لقد أخبرني بهذا... أما أخبرتك عن طلبه ذاك المتعلق بالسكن معي؟ حسناً... عندما أخبرته الليلة أنني غير واثقة أجابني: لا يهمني قبولك ثم اعترف أن فتاته الأخرى قد وافقت على السكن معه... ابتداءاً... من... من نهاية هذا الأسبوع.

تهدج صوتها تأثراً لكنها تابعت باكية:

ـ قال انه أراد رؤيتي الليلة ليقول لي... ود... وداعاً.

وقفت ماري لتضم صديقتها إلى صدرها، وتركتها تبكي على كتفها... خداع روبرت جعلها توقن أن الرجال جميعهم أنذال لكن ثمة استثناءات ما، مثل دون وبيتر، وهامش.

بعد لحظات ابتعدت ساندرا مبتسمة وأكملت مرتعشة:

ـ يا لسخرية القدر. فلو وافقت منذ يومين لكنت أنا من تشاركه السكن بينما الفتاة الأخرى كانت هي التي ستبكي الآن.

ـ هل تفضلين الأمر على هذا المنوال؟

ـ يا إلهي... لا! أنا حزينة لأن علاقتي به انتهت... فقد حسبتني أحبه... أتلاحظين أنني بدأت استخدم صيغة الماضي؟ يا إلهي كم كنت بلهاء!



تنهدت:

ـ أجل أنا غبية، لكن فكري فيما كنت سأشعر به لو انتقلت لأشاركه السكن ثم اكتشفت بعد ذلك قذارته وخساسته؟

ـ أجل.

تنهدت ثانية:

ـ طبعاً تعرفين... كم كنت بلهاء!

ـ لكنك أحببته.

ـ أما الآن فأنا أكرهه... والكراهية أهون من الحب.

تلك الليلة، صحت مراراً على نحيب ساندرا التي حاولت جاهدة اخفاء نشيجها متظاهرة بأنها نائمة...

في اليوم التالي أمضت نهارها ترعى صديقتها وتستمع إلى شكواها... لكنها في الواقع كانت تفكر في موعدها السابق مع ريك فهي ظنت أنه بعد لقائهما الذي أمضته بين ذراعيه سيطالبها بالمزيد والمزيد لكن النهار قد انتصف وهو لم يتصل بها كما وعدها. سألتها ساندرا عن سهرتها.

ـ كانت سهرة ممتعة.

ـ هل سترينه مجدداً.

ـ لم يقل شيئاً.

ـ أليس رجلاً رائعاً؟

تنهدت بحسد، فقالت ماري ممازحة دون أن ترد على السؤال:

ـ ظننتك ستكرهين الرجال.

فضحكت ساندي:

ـ لن أكره رجلاً مثله. فهو فريد من نوعه... فلنخرج إلى السوق فلا شيء أمتع من تجربة ثياب لا أستطيع نقد ثمنها للبائعة التي سأقول لها «إنها لا تناسبني»!

لم تعلم ماري ما إذا كانت ستخرج أم لا فلو خرجت فقد تفوتها مكالمة ريك، هذا إذا اتصل. ولكن لو اتصل ولم يتلق رداً... فسيعرف مرة أخرى



www.elromancia.com

أنها أبعد من مناله دائماً. فقالت بخفة:
ـ أجل... هيا بنا نخرج.
غابتا عن المنزل ساعتين... وعند عودتهما وجدتا الهاتف يرن بإلحاح داخل الشقة. تركت ماري لساندرا الرد ثم أدخلت السروال الذي اشترته ساندي إلى غرفة النوم. لكن لم تمض إلا لحظات حتى لحقتها ساندرا.
ـ إنه ريك.
ـ شكراً.
تأخرت عمداً في الوصول إلى الهاتف، ثم ردت بلهجة باردة:
ـ مرحباً ريك.
ـ أين كنت بالله عليك؟ لقد اتصلت بك طوال فترة بعد الظهر.
كان غاضباً... غاضباً جداً، وهذا بالضبط ما تريده. ردت بخفة:
ـ أنا كنت في الخارج طوال فترة بعد الظهر.
ـ أين؟
ـ حقاً يا ريك...
ـ أين؟
كبحت ضحكتها.
ـ خرجت أتبضع.
ـ وحدك؟
ردت ببطء متمتعة بغيرته:
ـ لا... لم أكن وحدي.
ساد صمت من الجهة الأخرى لثواني تبعه انفجار ريك:
ـ كنت مع ماينارد؟
ـ لا...
ـ بل كنت... تباً لك!
استطاعت تقريباً رؤية وجهه وقد سيطر عليه الغضب... وفقد كل تعقل وسيطرة... قالت بهدوء:



www.elromancia.com
مــــر

ـ اعتقدت أننا قد انتهينا من مسألة هامش ليلة أمس؟
فصاح:
ـ لا... لم ننهِ شيئاً. أذكر أنني عندما سألتك لماذا قبّلك لم تجيبني بل... عانقتني. فنسيت عندها أنني سألتك ذلك السؤال اللعين. لماذا قبّلك يا ماري؟
ـ ولماذا لا يقبلني؟
ـ لأنني... لأن... أنا! يجب أن أكون الرجل الوحيد في حياتك منذ الآن.
رمت ماري الطعم:
ـ ولكن لهذا التفكير المتسلط ثمن.
ـ إنه ثمن قلت لك إنني مستعد لدفعه!
ـ لكن قد لا أرغب فيه.
ـ أيعني هذا أنك ستستمرين بمقابلته؟
رغم عذوبة صوته المنخفض، فقد بدا لها خطيراً ومع ذلك أجابت:
ـ إذا رغبت أنا في هذا.
سمعت بوضوح أنفاسه الحادة... ثم سألها:
ـ وإذا طلبت منك عدم مقابلته؟
ـ وهل تطلب هذا؟
ـ أجل!
صمتت للحظات لتوهمه بأنها تدرس اقتراحه. ثم ردت أخيراً بخشونة:
ـ حسناً.
ـ أتعنين نعم؟
بدا وكأنه لم يصدق أذنيه:
ـ إذا كان هذا ما تريده.
ـ أجل يا ماري... هذا ما أريده... هل تقابليني الليلة؟
ـ لا أحسبني قادرة على ترك ساندرا الليلة...

- إنها ناضجة تستطيع الاعتناء بنفسها يا ماري. بينما أنا بأمس الحاجة إليك. أنت تعرفين أنني حاولت عدم الاتصال بك؟

اجتاحتها السعادة لسماعها هذا الاعتراف. فسألته:

- لماذا اتصلت إذن؟

- لأنني لم استطع الابتعاد عنك! الليلة ماري! يجب أن أراك الليلة! سأكون عندك في السّابعة.

أقفل الخط قبل أن ترد أو ترفض.

لم يكن لديها نية الرفض فلقد عانى ريك الكثير خلال يوم واحد وهي تنوي أن يكون هذا الانتقام بطيئاً، حلو المذاق.

وقفت ساندرا أمام المرآة تعيد النظر للمرة العاشرة إلى السروال المخملي الأسود الذي اشترته.

- هل أنت خارجة؟

- هل تمانعين؟

- بالطبع لا، أنا أعلم أنك بقيت معي اليوم قصداً. لكنني لست ممن ينتحرون... سأكون على ما يرام الليلة... سأغسل شعري و...

وانهار صوتها وبدأت تبكي:

- آسفة يا ماري... كم أنا سخيفة.

- لن أخرج... سأتصل بريك و...

- لا... لن تفعلي هذا... أشكرك على بقائك معي اليوم... لكنني أرحب بالإنفراد بنفسي بعض الوقت... عذراً يا صديقتي على كلامي هذا، فهو يبدو جاحداً ليس فيه عرفان بالجميل.

- أفهمك تماماً يا ساندرا... حقاً... والبنطلون رائع عليك!

كانت في غرفة النوم عندما وصل ريك قبل السابعة بقليل. بعد عشر دقائق، دخلت ساندرا غرفة النوم لتعرف سبب تأخرها وهمست لها وكأنه يلاحقها:

- لقد بدأ يفقد صبره.



وضعت ماري قطرات من العطر الذي أبدى إعجابه به.

- حقاً؟

- تبدين رائعة... لكنه يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً منذ وصل... حتى بدأت أخاف على السجادة!

ضحكت ماري ثم شرعت تضع أحمر الشفاه ببطء.

- قليل من الانتظار لن يضره.

- لكنه ليس ممن يحب الانتظار! وأنا لا أعرف بماذا أتحدث معه. فهو الرئيس الجديد في الشركة.

- لكنه ليس سوى رجل.

جلست ساندرا على حافة السرير:

- ليتني أستطيع أن أكون باردة مع الرجال مثلك. لم تخرجي معه سوى مرة وها هو طوع بنانك! كيف تفعلين هذا بهم؟

فضحكت ماري ببرود:

- أنا لا أفعل شيئاً ساندرا... فأنت تبالغين... فريك ليس طوع بناني بل ليس طوع بنان أي امرأة.

- إن لم يصبح إلى الآن طوع بنانك فسيصبح قريباً جداً.

حتى هذا الذي تقوله صديقتها لن يفيدها. فهي لا تريده طوع بنانها فحسب بل تريد أن تكون زوجة له وذلك الزواج لن يكون إلا دفعة على الحساب.

وقفت ساندرا:

- سأقول له إنك جاهزة تقريباً.

- قولي ما تريدين... لكنني لم أجهز بعد.

- ماري...؟

نظرت إلى ساعتها الذهبية الصغيرة في يدها:

- ما من رجل يهتم بامرأة اهتماماً حقيقياً قد يبعده عنها تأخير عشرين دقيقة، أحتاج إلى خمس دقائق أخرى.



www.elromancia.com

- ولكنه قد يذهب.
- فليذهب.
- ألن تنزعجي؟ إنه فاتن وخطير! رائحة عطره تصيبني بالدوار.
- هاي اهدأي أيتها القرصان! إنه لي، تذكري هذا؟
- كيف لي أن أنسى؟ حسناً... سأقول له إنك ستجهزين بعد دقيقة.
- أربع دقائق بالضبط.
- وهو حتى ذلك الوقت يكون قد ثقب السجادة. فهل تملكين ثمن واحدة أخرى؟

ضحكتا معاً... لكن مرح ماري تلاشى حالما خرجت ساندرا... إذن ريك فاقد الصبر؟ حسناً... عندما ستنتهي منه لن يكون نافذ الصبر فحسب.

برقت الرغبة في عينيه الرماديتين وكأنها نار مستعرة. فقد راحت نظرته تطوف ببطء فوق ثناياها الناعمة الرقيقة التي برزت بوضوح تحت الثوب الأبيض الملتصق بجسدها.

تقدم منها. لكنه وقف على بعد أنشات، أحست بحرارة جسده:
- هل فعلت هذا عمداً؟
- فعلت ماذا؟
- أبقيتني منتظراً... أنت تعرفين جيداً مدى رغبتي في رؤيتك.
- أنا أعرف؟
- أنت تعرفين ذلك كل المعرفة يا قطة...!

وما ان تلفظ بالكلمة الأخيرة حتى ضمها إليه بشوق.

بعد عدة لحظات، افترقت عنه، وهي تتمتم:
- ساندرا في الغرفة الأخرى.

ابتعد عنها متنهداً:
- صحيح... كما أننا قد نتأخر.
- نتأخر؟
- فكرت في زيارة دون قبل العشاء.



أحست بعقدة الذنب لأنها تأخرت عمداً، فقالت:
- سأودع ساندرا.

سألها ريك أثناء ذهابهما إلى المستشفى:
- كيف حالها؟
- متألمة.
- هل أنهت علاقتها مع صديقها؟
- أجل.

مد يده ليشبك أصابعه بأصابعها:
- هاي... ما بالك متجهمة، لست أنا من آذى صديقتك.

فسحبت يدها منه، وقالت بجفاء:
- أنا لا أحب رؤيتها تتألم... هذا كل شيء. آسفة.
- لكنني أتألم.

كان اعترافاً تعرف جيداً أنه لا يحب قوله. فليس ممن يعترفون بأي نوع من الضعف... فقالت ثانية:
- آسفة.

رد بمرارة:
- صحيح؟ ما نوع اللعبة التي تلعبينها معي يا ماري؟

ردت بحدة:
- لعبة؟ لست أفهمك.

بدا متجهماً ومتوتراً:
- أنت تعرفين أنني أريدك... وتعرفين بما أشعر به نحوك لذا لا أنصحك باستغلال مشاعري هذه.

كان صوته قاسياً محذراً... فبللت شفتيها بعصبية:
- ماذا تعني؟
- لا تعتبري حبي ضعفاً يا قطة.

بدا صوته خطراً في نعومته، فارتفع حاجبيها:



www.elromancia.com

ـ الحب يا ريك؟

ـ أنت تعرفين جيداً أنني واقع في حبك!

هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها الحب... أحست بالرضى عندما قال هذا.

أخفضت جفنيها تخفي سرورها، فعبس وقد رآها صامتة:

ـ أما كنت تعرفين؟

ـ هذه المرة الأولى التي تذكر فيها الحب.

ـ لكنني ظننت...

ـ ثمة فرق شاسع بين الحب والرغبة يا ريك. وأنت لم تحدّثني إلا عن الرغبة.

ـ لكنني ظننتك تعرفين!

ـ كيف لي أن أعرف؟

ـ اون... تباً... لقد وصلنا المستشفى... سنتحدث لاحقاً!

فهزت رأسها ببرود:

ـ إذا احببت.

لامس بلطف خدها الناعم:

ـ بل أحب.

أشرقت أسارير دون عند دخولهما الغرفة معاً. بدا أفضل بكثير عما رأوه في المرة الماضية. فهو يجلس في فراشه ويبدو وكأنه استرد لونه الطبيعي تقريباً. قال لهما وهو يطفىء التلفزيون:

ـ لقد ذهبت ايزابيلا إلى المنزل لتوها.

فرد ريك وذراعه تلف خصر ماري في محاولة لإظهار رغبة في امتلاكها.

ـ كان يمكن أن نصل قبل هذا الوقت... لكنك تعرف النساء، هن يعتقدن أن عليهن دهن الزنبق بينما نحن نفضله على طبيعته.

ابتسم دون لمزاح ريك:



ـ اوه... لكن ماري بارعة في ذلك. يا لماري إنها تثور بروعة وجمال... فهل اعتدت على طبعها؟

ـ جداً... لكنه ليس طبعاً بل إرادة فولاذية.

نظرت ماري إليه بحدة فهي بدأت تكتشف الكثير عن هذا الرجل. لكنه أيضاً بدأ يحللها وقد يصل قريباً إلى الأجوبة لذا يجب أن تحذر لئلا يكتشف حقيقتها قبل الأوان المناسب. ضحك دون:

ـ هل أفهم أن هذه... الصحبة دائمة؟

أجابته ماري بسرعة:

ـ أجل... وهذا بعد أن كان مصراً على عدم الموافقة على العمل والعلاقة في الخارج.

شد بإصبعه معصمها محذراً وقد ظهر المرح في عينيه:

ـ أظنني قلت هذا بالنسبة لزوج وزوجته. وها أنا أعمل على حل هذه المعضلة.

تعمق اهتمام دون:

ـ حقاً؟

فهز ريك رأسه:

ـ جداً. لكنها صعبة الاقناع.

بعد زيارة المستشفى قصدا مطعماً تناولا فيه طعاماً ممتازاً. عمل خلاله ريك جهده ليسليها ونجح. ولذلك كانت في مزاج جيد عندما ذهبا إلى النادي الليلي حيث رقصا بصمت بين ذراعيّ بعضهما أكثر من ساعتين شعرت خلالها بشدة رغبته فيها. ولكن ما كان يهمها هو الحب... وهذا ما حفزها على تحريك مشاعره، وسألته وهما في السيارة خارج منزلها:

ـ هل تظن هذا حقاً؟

ـ أظن ماذا يا حبيبتي؟

أمسك بها بين ذراعيه، وعيناه تلمعان كبريق الفضة:

ـ أنني صعبة الاقناع؟



www.elromancia.com

لم تكن تدري كم بدت جميلة في تلك اللحظات فشعرها استرسل حول كتفيها، وعيناها أضاءتا وفمها ابتسم. فأجاب:

ـ بشأن الزواج؟ أنت لم تسهلي الأمور حتى الآن.

ـ أتفضل أن أسهلها؟

ـ نعم بعض الشيء... أنا لم أطلب من امرأة الزواج من قبل... وما يزيد في انزعاجي أن أجد أنها لا تأخذ الأمر على محمل الجد.

ـ لقد كنت غير تقليدي في البداية يا ريك... لكنني بدأت أنظر إليك بجدية الآن...

وضعت خدها على صدره، ثم طبعت قبلة عليه فأعجبتها ردة فعله، وهو يقول بصوت أجش من العاطفة:

ـ صحيح؟

رفعت وجهها إليه:

ـ نعم.

ـ لا تتوقفي...

ـ أنت طمّاع.

ـ بالنسبة لك أجل.

ـ وسانتيا؟

هز رأسه، ثم زرر قميصه بعد أن ابتعدت عنه:

ـ الشابة صعدت إلى الطائرة باكراً هذا الصباح وقد تأكدت من هذا بنفسي.

ـ إذن أنت لم توافق على المفاجأة التي حضرتها لك؟

ـ إطلاقاً. وهذا ما أفهمتها إياه.

بعد أن ابتعدت سانتيا تستطيع ماري الآن أن تكون كريمة معه.

ـ لكنها أحبتك.

ـ لكنني أحبك أنت...

قالت مشجعة:



ـ قد أصدّق.

ـ ليتك تصدقين... هل سنلتقي في الغد؟

ـ أزور عمتي عادة يوم الأحد.

ـ دعيني أرافقك.

ـ ترافقني؟

ـ ولِمَ لا؟ لقد آن لي أن ألتقي بفرد من أفراد عائلتك. أعمتك هي كل عائلتك؟

قطبت:

ـ أجل.

هي لم تحسب يوماً حساب لقاء ريك بعمتها أديث. فقد تكون عمتها في الثمانين من عمرها لكنها ليست عجوزاً واهنة العقل. فإن سمعت اسم ريك ستيل فستضرب أسداسها بأخماسها وتصل إلى الحقيقة.

ومع ذلك فهي تفهم رغبة ريك في مقابلة عمتها، وهذا قد يمهد لها الطريق لتزور والده في الوقت المناسب. قالت في النهاية:

ـ حسناً... لكن عمتي أديث عجوز جداً، تتكلم بما لا تعنيه أحياناً.

اوه... عمتي أديث... سامحيني... فكيف تقول مثل هذا القول عن عمتها التي هي في هذه السن واعية، عاقلة أكثر من كثير من شباب هذه الأيام، بما فيهم ماري نفسها. فابتسم ريك:

ـ لن أمانع أبداً يا حبيبتي... إنها عمتك وأنت تحبينها.

ـ ألن تمانع لو كانت... كانت فظة معك؟

ـ بعد خططك المراوغة معي... سأرحب بفظاظتها... والآن قبليني قبلة الوداع لهذه الليلة.

وكانت قبلة متحفظة... فهي أعطته الكثير هذه الليلة... قالت له مقطوعة الأنفاس:

ـ الأفضل أن أدخل إلى المنزل الآن.

ـ أجل... هذا ما أظنه لأنني قد أقرر اغواءك. وجعلك ترافقينني إلى



www.elromancia.com

منزلي.

ـ لن تنجح.

ـ أعرف هذا، لكن لا بأس بالتجربة... متى أجيء غداً؟

اتفقا على الموعد ثم خرجا من السيارة ليرافقها حتى الباب... كانت ساندرا قد نامت، وتركت الضوء مشتعلاً في غرفة الجلوس.

دخلت ماري بهدوء إلى غرفة النوم، بعد أن اغتسلت غير راغبة في إزعاج صديقتها... لكنها لم تكن نائمة، بل جالسة في الفراش وقد اضاءت النور.

ـ هل قضيت وقتاً طيباً؟

ـ جداً.

قالت ساندرا ببطء... وعلى مضض:

ـ لقد اتصلت بشقة روبرت هذا المساء.

فاتسعت عينا ماري:

ـ ماذا فعلتِ؟

ـ لا شيء... لم يكن هناك لكن صديقته ردت على الهاتف.

كبحت ساندرا دموعها بصعوبة، وصعدت ماري إلى سريرها مقطبة حاجبيها.

ـ هل عرفت من أنت؟

ـ لا... لم تعرف وأنا لم أخبرها.

عادت ساندرا للاضطجاع فوق الوسادة.

ـ اكتشفت أنني لا أكرهه إلى الحد الذي يجعلني أفعل به هذا... وأنا واثقة أنها ستكتشف علاقتي مع روبرت في الوقت المناسب!

بعد أن غفت ساندرا بوقت طويل، كانت ماري لا تزال صاحية. تفكر بقلق بما قد ينتج عن لقاء ريك بالعمة أديث.

● ● ●



## ٨ ـ في منزل العمة

قررت ساندرا في الصباح التالي السفر لقضاء يوم مع عائلتها... وهذا أفضل ما تقوم به في ظروفها هذه. تنتمي ساندرا إلى عائلة كبيرة تتألف من أربعة أخوة وأخت، وهذا هو السبب الرئيسي الذي دفعها للانفصال والسكن وحدها. كانت ماري تعرف جيداً أنهم عائلة متماسكة، وانهم عند المصاعب يلتحمون ويتعاونون لذا لا شك في أن ساندرا ستجد السلوى بعد رؤيتهم.

وصل ريك بعد الحادية عشرة تماماً. سألها وهي تنظر إلى بزته الأنيقة:

ـ كيف أبدو.

ابتسمت له:

ـ أنت تعرف أنك رائع.

ـ وأنت كذلك... تعالي إلى هنا.

لكنها تراجعت عنه متوترة مما قد يثيره فيها من ردود فعل... قالت له بخفة:

ـ علينا الذهاب حالاً.

ـ لكنني أطالب بعناق.

مد ذراعيه ليحتويها بقوة وكأنه يود لو يسحب روحها من بين جنبيها، كان الفستان الذي ترتديه من الحرير الناعم. استطاع أن يوصل إليها بوضوح حرارة جسده. فتعلقت بكتفيه، وقد بدأت الرغبة المألوفة تجتاح جسدها. انحنى رأسها إلى الوراء بعد أن بدأت يداه تجوبان جسدها بكل شغف.

ـ أحبك يا قطة.



www.elromancia.com

أسندت نفسها إليه بضعف. كانت تستجيب للمساته تتحرك معه وكأنها ترقص في حلم... ودون أن تعي تأوهت بعمق. فما كان منه إلا أن شجعها بصوت أجش:

ـ أجل... هكذا يا قطتي... خري لي يا حبي.

وكانت «تخر» فليس هناك من كلمة قد تصف بشكل أفضل ما يصدر عنها من صوت... أحست بصدمة اجتاحت جذور كيانها عندما أدركت أنها قد سمحت له بأن يتمادى معها. الأنكى أنها قد استمتعت بما فعل.

ناضلت لتبتعد عنه مع أنها كانت متوترة مثله. فقلبه كان يخفق بقوة، وذراعاه تضغطان عليها بوحشية.

قال لها فجأة وهو يستقيم في وقفته:

ـ أحبك يا ماري. أحبك... نحن راشدان لذا لا داعي إلى أن تحسي بالحرج من جرّاء التأثير الذي نوقعه ببعضنا بعضاً. هل كنت على علاقة حميمة مع خطيبك؟

أجفلها سؤاله هذه فابتعدت عنه ثم اقتربت من المرآة فمشطت شعرها، وأعادت وضع أحمر الشفاه. لكن ما أدهشها أن صورتها في المرآة كانت تنظر إلى عينيها بهدوء ووقاحة... بينما هي تغلي من الغضب من الداخل.

تقدم ريك ليقف وراءها، حيث بدا لها في المرآة خطيراً:

ـ ماري؟

دفعت بعض المرارة إلى نظرتها... وردت مازحة:

ـ هل سألتك يوماً عن ماضيك يا ريك؟

ـ لكن هذا أمر مختلف...

ـ لماذا؟ ألأنني كنت مخطوبة؟ لكن علاقة من هذا النوع لا تأتي مع خاتم الخطوبة.

التوى فمه وقال بحدة:

ـ لم أكن أفكر هكذا... لكنني أود أن أعرف.

بدأ غضبها يظهر فقاطعته:



ـ لماذا؟ ماذا ستستفيد...

برقت عيناه:

ـ أريد أن أعرف يا ماري!

ردت بحدة:

ـ لا... لا... لم يحدث شيء بيني وبين خطيبي السابق. هل اكتفيت الآن؟

أطلق تنهيدة عميقة، وكأنما كان يحبس أنفاسه منتظراً الرد:

ـ أجل هذا يرضيني... لا أستطيع كبح غيرتي... فالتفكير بأنك كنت مع رجل آخر يوماً يدفعني إلى الجنون.

أحضرت سترتها... ونظرت إليه ببرود:

ـ لقد قلت لك إنني لم أفعل. ولكن هذا كان منذ خمس سنوات يا ريك. كنت في التاسعة عشرة، ساذجة، أما الآن فأنا امرأة ناضجة.

ـ ولك احتياجات المرأة؟

ـ بالضبط.

هز رأسه بثقة متعجرفة:

ـ لا أصدقك... فأنا أذكر حديثاً مزدوج المعنى تبادلناه يوماً عن الإبحار...

فالتوى فمها بسخرية وهي تقاطعه:

ـ أذكر ذلك أيضاً. وأذكر أنني قلت لك بأنني جرّبته.

ـ مرة!

ـ بل عدة مرات. والآن أيمكن لنا أن نخرج أرجوك. عمتي تتوقع وصولي الثانية عشرة.

ـ لم أنهِ كلامي بعد...

صاحت بصوت فولاذي:

ـ وأنا لا أريد مناقشة هذا بعد... لقد خرجت معك بضع مرات. ولست مضطرة لأبرر لك أي شيء... وإذا كنت تفضل عدم الذهاب لرؤية



www.elromancia.com

عمتي...

أمسك بيدها بعد أن تظاهرت بمحاولة الخروج:

ـ أنا قادم معك!

نزلا إلى السيارة.

كان بإمكانها أن تقول له إنها وخطيبها السابق قررا الانتظار إلى ما بعد الزفاف... كما كان بإمكانها القول له إنها لم تسمح لرجل بالاقتراب منها. لكنها لم تجد سبباً لهذا، فهذا شأنها وماضيها.

أكملا الرحلة إلى شقة عمتها بصمت مطبق، لكنهما قبل أن يصلا بقليل لاحظته يحاول كسر ذاك الصمت. بدا وكأن في نفسه معركة يجد صعوبة في خوض غمارها.

صاح فجأة وهما يقفان خارج باب الشقة.

ـ إلى الجحيم بكل شيء!

ثم استدار ليحيطها بين ذراعيه بحب وحنان. أردف:

ـ لا لن يهمني أبداً ولو كان في حياتك الماضية مئة حبيب... فأنا ما زلت أريد الزواج منك!

استعادت رباطة جأشها، ونظرت فيما حولها وهي تقول مازحة:

ـ هم ليسوا مئة تحديداً... يا ريك!

ـ لا تجربي حظك معي يا قطة... فقد أفكّر في أخذك من هنا إلى مكان لن أجعلك فيه تكتفين بالخرير!

تبعت ضحكته الساخرة بهروبها السريع إلى داخل الشقة... يجب أن تحذر من البقاء معه وحيدة في أي مكان قد يتمكن فيه من فرض ما هو أكثر من عناق.

كانت عمتها تسقي النباتات عندما دخلا. فصاحت بها دون أن تستدير:

ـ لقد تأخرت ثانية، حقاً يا ماريام، باتت مواعيدك كريهة! ماذا يظن بك رئيسك في العمل وأنت تتأخرين؟

استدارت عمتها مذهولة عند سماعها صوت رجل يقول مازحاً:



ـ إنه يظن... أنها أجمل امرأة شاهدها في حياته... وأن بإمكانها عدم المجيء إلى العمل قبل الغداء لو شاءت.

ردت ماري محذرة:

ـ سأتذكر هذا القول.

فأضاف بنعومة:

ـ ما دمت أنا من تمضي صباحها معه!

كانت العمة أديث تنظر منتقدة، لكن ملامح وجهها أظهرت إعجاباً. قالت بصوت يخفي الغضب:

ـ أظن أنك قلت ان السيد ديكسون متزوج وإن له ابناً ناضجاً.

ـ هذا صحيح يا عمتي.

أعادت العمة النظر إلى ريك، فعرفت ماري السبب لأن الرجل الوحيد الذي قدمته لها من قبل كان جيدون. وقتذاك لم يعجبها إطلاقاً، أما ريك فتبدو وكأنها معجبة به.

قالت العمة بإدراك:

ـ إذن هذا ليس هو... هل هو هامش؟

أحست ماري بالتوتر الفجائي الذي اجتاح ريك. وعلمت أنه ما زال يغار من ذكر اسم ذلك الرجل.

ـ لا إنه ليس هامش كذلك يا عمتي. إنه رئيسي الجديد ريك ستيل.

نظرت إلى عمتها بدقة تفتش عن أي أثر يُظهر أنها انتبهت لاسم عائلته لكن شيئاً من ذلك لم يظهر عليها. بعد أن قدّم لها نبتة زهرة الفوسيا التي اشتراها لها صافحته بحرارة وبدت السعادة على العمة بسبب هذه الالتفاتة. فابتسمت له:

ـ أنت لطيف جداً... شكراً!

اتسعت عينا ماري وقد رأت عمتها تقريباً تمدحه... إنها حقاً معجبة به! رد بنعومة:

ـ لا حاجة للشكر... لو أن الغذاء لذيذ كرائحته... فهذه النبتة لا

شيء بالمقابل.

- اذهبي يا ماريام وأشرفي على الطعام حتى أتبادل مع السيد بعض الكلمات.

فابتسمت ماري:

- سأفعل... ولِمَ لا؟

نظرت إليها عمتها عابسة:

- أجل... اذهبي.

فضحكت...

- ما عادت تخيفني نظرتك هذه منذ سنوات... ومع ذلك فأنا ذاهبة لأشرف على الطعام. لقد أحضرت معي كعكة بالكريما.

أطلت من باب المطبخ الصغير بعد أن وصلت إليه.

- لا تخبريه شيئاً عن أسراري السوداء!

كان تحذيراً مازحاً، ولكنها كانت تعرف أن عمتها ستفهمه. ردت العمة بخفة:

- ليس لديك أسرار سوداء! باستثناء ذلك الرجل الكريه الذي كنت خطيبته يوماً.

فشهقت ماري:

- عمتي أديث!

بدا الاهتمام في عيني ريك وهو يميل إلى العمة.

- أخبريني المزيد.

- حسناً... إنه...

تأوهت ماري:

- عمتي أديث... أرجوك! أخبريه عن كوني فتاة محترمة، أخبريه عن اجتهادي يوم كنت تلميذة... لكن أرجوك دعي جيدون وشأنه!

رفعت حاجبيها لعمتها... فقبلت العمة رجاءها:

- لا بأس... أكملي الآن إشرافك على الغداء قبل أن يحترق.



تناهى إلى مسمعي ماري رنين ضحكات ريك العميقة وهي تضع الخضار وتخرج اللحم من الفرن. إنه يتمتع بكل ما تقوله له. أمضى وقت الغداء كله على هذا النحو. كان يتصرف مع عمتها وكأنهما متفقان على إزعاجها. قالت له العمة وهما يستعدان للخروج:

- والآن... أتمنى أن تكون رفيقاً بماريام... فتحت مظهر هذه الفتاة القاسي آلام كبيرة في الماضي.

شحب وجه ماري:

- عمتي...

رد ريك مطمئناً:

- سأكون رفيقاً بها... رفيقاً بالزوجة التي يحبها زوجها حباً جمّاً.

صاحت ماري ثانية:

- ريك!

أسكتتها عمتها بنفاذ صبر:

- اصمتي يا ماريام! إذا لم يكن لديك شيء تقولينه سوى ترديد اسمينا بطريقة سخيفة فلا تتكلمي أبداً.

التفتت إلى ريك:

- إذن أنت تنوي الزواج من ابنة ابن شقيقي؟

فهز رأسه:

- حالما توافق على طلبي!

- أتفتعل لك المشاكل؟

نظر إلى ماري ساخراً ومبتسماً:

- كثيراً.

فقالت العمة برضى:

- إن لك قوة تستطيع الوصول إلى هذه الفتاة. فذلك السخيف المعتوه...

- عمتي أديث... علينا أن نذهب الآن.



www.elromancia.com

كان على ماري أن تقاطعها... فقد مر النهار برقة وسلام. وإذا بدأت عمتها الآن بالحديث عن الماضي فلا يمكن معرفة ما قد تقول.

قالت العمة لريك:

- إنها تكره حديثي عنه. ولست دهشة، فلم يكن طيباً معها إطلاقاً... ولم يكن له هيكل الـ...

- عمتي اديث!

قال ريك بنعومة مقاطعاً:

- يجب أن نذهب معاً. لقد تمتعت بلقائك يا أديث ليتك تسمحين لي بمناداتك بعمتي كما تفعل ماري.

لم تستطع ماري كبح دهشتها عندما نادى ريك عمتها باسمها الأول، أو عندما ردت تحيته بالمثل... لقد حقق ريك دون شك المستحيل، ولقد سحر العمة في بضع دقائق.

قال لها ريك وهما عائدان إلى المدينة:

- إنها تعجبني.

فردت بخبث:

- ربما عليكما أن تتزوجا.

فرد بصرامة:

- أنا أحب النساء العجائز كثيراً. وأظن أنك تهينين عمتك بالكلام عنها هكذا.

احمرّ وجهها للتوبيخ الذي اعتقدت أنها تستحقه، فردت:

- وأنت أيضاً أعجبتها... وأنا آسفة، لم أقصد الإهانة.

هز كتفيه لصرف الموضوع:

- أظن أنها لم تتفق مع خطيبك السابق كما اتفقت معي؟

لا.

اذا؟

- لست أدري... ربما لأنه لم يسعَ إلى التأثير عليها.



علم أنها تعمّدت إزعاجه بمزاحها، فاسودّ وجهه ثانية:

- أنا لم أحاول التأثير عليها... لماذا أشعر بأنني لا أعجبك!

امتقع وجه ماري لأنها تركت غضبها يكشف عن مشاعرها الحقيقية نحوه... في هذه اللحظات هو يحبها حتى الصميم. لكن إن شك فيها فسينقلب هذا الحب كله إلى غضب جارف. قالت له بخفة:

- أنت تتخيل الأشياء.

- صحيح؟

- بالطبع... فلماذا أخرج معك إن كنت لا تعجبني؟

تمتم مفكراً:

- لماذا؟ بالفعل؟

فقالت برجاء وعيناها تشجعانه.

- دعنا لا نفسد يومنا بجدال عقيم يا ريك...

بدا وكأنه يصرف الغضب عنه بجهد، قال بخفة:

- يبدو أننا نتجادل كثيراً. فهل تعتقدين أننا ستجادل هكذا بعد أن نتزوج؟

ابتسمت لغطرسته:

- لكنني لم أقبل بعد.

فابتسم:

- لا... ولكنني سألح في الطلب حتى تقبلي.

- ألا تظن أنه يجب أن أقابل عائلتك قبل أن نقرر شيئاً مهماً كالزواج؟

قال لها بخشونة وقد تجهم وجهه:

- ليس لي الآن سوى والدي الذي لا أرى سبباً يبرر مقابلتك إياه.

اتسعت عيناها، فالهوة بين الأب والابن تبدو أوسع مما لمّح له دون... وهذا الأمر لن يساعدها في خطة الانتقام، سألته:

- ولِمَ لا؟

بدا ضائعاً في أفكاره، قاسي الملامح، بارد العينين غاضباً، مقطباً.



www.elromancia.com

تشوشت أفكارها، أيعقل أن تفشل في الوصول إلى والده بعد كل تلك المشقات، لا لن يحبطها غضبه ولن تقبل بالهزيمة منذ الآن. أعادت سؤالها بعد طول صمت ريك:

- ولِمَ لا؟

- لقد قابلته مرة واحدة منذ عودتي. وذلك في اليوم التالي على زفاف بيتر، وأنا لا أرى داعياً يدفعني إلى زيارته في القريب العاجل.

لا... لن تفشل بعد كل ما مرّت به، فقالت بعناد:

- أريد مقابلته يا ريك!

ردد بسخرية:

- جورج ستيل العظيم...!

صححت كلامه المرير بنعومة:

- إنه والدك.

فقال بخشونة:

- لم يكن لي أب قط كما يكون لكل الأطفال. عندما كنت طفلاً كنت نادراً ما أراه. ووالدتي كانت تعيش في الريف لأنها تفضل ذلك. بينما كان أبي يمضي معظم أوقاته في ملبورن. وكل ما قدّمه لي في ذاك الوقت بعض الزيارات القليلة التي قام بها إلى مدرستي الداخلية.

اشتدت المرارة في عينيه وهو يتذكر الألم. فقالت:

- ومع ذلك فقد درست المحاماة أنت أيضاً.

فضحك:

- في ذلك الوقت لم يكن لدي خيار آخر. وحتى أكون صادقاً أقول انني لم أشأ المحاماة. ولكن ابن جورج ستيل لن تكون له مهنة أخرى غير القانون... يوماً أعجبت بوالدي... مهنياً... وفكرت في أن أدخل شريكاً في مكتبه الناجح.

- ولماذا لم تفعل؟

التوى فمه بالكراهية:



- لنقل انني تحررت من وهم طريقته في تنفيذ ما يريد.

- ألذلك سافرت إلى انكلترا؟

- أجل.

- إذن أنت لا تنوي أن تدعني أقابله؟

- وهل لهذا أهمية لك؟

ابتلعت ريقها بصعوبة:

- أجل.

- إذن سأتصل به. الأسبوع القادم، وعسى أن نراه في نهاية الأسبوع.

هزت ماري رأسها، وهي لا تكاد تصدّق أنها على وشك مقابلة الرجل الذي تمقته منذ اثنتي عشر سنة.

- سأحب هذا كثيراً.

- لست أدري لماذا ولكن تذكري. ستتزوجيني أنا. لا والدي!

أحست بالرجفة من كلامه... لذا لما اقترح دعوتها للعشاء... ليس في مطعم هذه المرة بل في نادٍ صاخب وافقت دون نقاش.

لاحظت للمرة الأولى منذ تعارفهما عدة نظرات تتجه إليهما، من نساء جميلات تتراوح أعمارهن بين العشرين والخمسين! فريك رغم ثيابه غير الرسمية رجلاً وسيماً مدمراً... له مظهر نجم السينما الساحر... وكان في هذا المكان العديد منهم، أجفلت ماري لرؤية عدة نجوم معروفين في السينما والتلفزيون... ولكن ريك بدا غير متأثر بوجود أمثالهم.

كانا يرقصان ببطء بعد العشاء، عندما نادت امرأة باسمه، وجرّت شريكها كرهاً إلى حيث توقف ريك عن الرقص ينظر إليها، وذراعه على خصر ماري. حياها بابتسامة رضى:

- يا إلهي... من؟ بريدجيت؟

لم تتردد المرأة في إظهار سعادتها، أو في رمي نفسها بين ذراعيه تقبله.



www.elromancia.com

ارتدت ماري إلى الوراء وقد عرفت هوية هذه المرأة. فجأة غدا وجهها أبيض شاحباً. إنها بريدجيت... شقيقة جيدون هاريس خطيبها السابق الصغرى! بدا أنها تعرف ريك ستيل جيداً... في الواقع!

● ● ●



## ٩ ـ النار تلفحها أخيراً

كانت هذه الفتاة في السادسة عشرة من عمرها عندما عرفت ماري... طفلة مزعجة ومتكلفة، أظهرت كرهها لخطيبة شقيقها حالما عادت من المدرسة الداخلية لحضور حفلة الخطوبة.

ذلك الكره كان متبادلاً. فالهجوم الكلامي الذي كانت تمارسه مع ماري عندما كانتا تختليان حال دون أقل صداقة قد تكون بينهما يوماً.

لكن هذا كان منذ خمس سنوات، وجمال بريدجيت قد أزهر ليصبح رائعاً. شعرها أشقر كشعر أخيها، وعيناها زرقاوان تشعان مرحاً.

أجل... لقد أصبحت امرأة خلّابة قد تهز الأرض تحت قدمي ماري... فكلمة من هذه الفتاة قد تؤدي بها إلى الهلاك وصفة الأذية هذه ورثتها دون شك عن والدها. فلو ذكرت أمام ريك هويتها لكان في ذلك دمار حياتها ثانية.

قالت بريدجيت لريك بإغراء، وقد تناست الشاب الذي كان يرافقها:

ـ ما أروع رؤيتك من جديد! متى عدت من انكلترا؟

دفع ريك ماري إلى الأمام:

ـ في الشهر الماضي.

نظرت إليها بريدجيت بفضول... ولكنها لم تعرفها! فقد راحت عيناها تقيمان ماري ببرود، لا يدل على أنها عرفتها.

لفت الرجل الواقف قربها انتباهها قائلاً:

ـ بريدجيت!



www.elromancia.com

فنظرت إليه بسخط، ونظرت إلى طاولة كان يقف أمامها عدة أشخاص استعداداً للخروج... نظرت برعب إلى حيث نظرت الفتاة فقد يكون بين اولئك الواقفين جيدون ولكنها حمدت الله لأنه ليس بينهم فهو ما زال في شهر العسل.

قالت بريدجيت بأسف وهي تنظر إلى ماري ببرود:

ـ علي الذهاب الآن... اتصل بي... أتعرف رقم هاتفي؟

فابتسم ريك:

ـ أجل.

قبلته بريدجيت ثانية:

ـ ما أجمل عودتك إلينا!

هزت رأسها لماري قبل أن تسمح للشاب بأن يقودها خارج النادي.

أحست ماري بأن يدها تتضح عرقاً وهي تلتفت إلى ريك، تقترح عليه الخروج أيضاً، متخذة العمل غداً حجة لإنهاء سهرتهما باكراً.

قال لها عابساً بعد صمتها الطويل وهما عائدان إلى المنزل:

ـ هل أزعجتك تحية بريدجيت؟

فردت بحدة:

ـ بالطبع لا.

ـ أعرفها منذ أن كانت طفلة.

هذا ما كانت تخشاه! لم يبدر في ذهنها إطلاقاً أن يعرف ريك بريدجيت هاريس، وبما أنه يعرفها منذ كانت طفلة فهذا يعني أنه يعرف العائلة كلها.

قال شارحاً:

ـ كنت في كلية الحقوق مع أخيها، كنا صديقين حميمين وقتذاك.

الأمور تزداد سوءاً فهو يعرف جيدون أيضاً! بدأت ماري تحس أن الأمور بدأت تطبق عليها. أضاف:

ـ لقد تزوج منذ مدة... لكنني لم أحضر العرس... هل قرأت عنه في الصحف؟



ـ لا.

ـ يبدو أن أصدقائي جميعهم تزوجوا أو يوشكون على الزواج، وأنا الذي اعتقدتهم من العزّاب المتشبثين بحريتهم! كان جيدون سيتزوج قبل الآن... لكن هذا لم يتم.

سألته ببرود:

ـ لماذا؟

ـ لست أدري.

كان يكذب... وهي تعرف أنه يكذب، لا بد أنه يعرف بالضبط لماذا لم يتم ذلك الزواج... وتابع:

ـ إنني لا أعرف بريدجيت إلا قليلاً فقد كانت في الرابعة عشرة من عمرها تقريباً عندما رأيتها آخرة مرة... ما أسرع ما تشب النساء!

ردت بجفاء وقد أغضبها تعليقه:

ـ الاحظ هذا.

فضحك ريك بنعومة:

ـ بريدجيت طفلة بالنسبة لي يا ماري!

ـ وكذلك كانت سانتيا.

رغم سخرية كلامها فقد اعتبر قولها غيرة. أرادت أن تعرف بالضبط مدى معرفته بعائلة هاريس، وها قد عرفت ولسان حالها يقول ليتني لم أعرف...

ـ لسن جميعهن أطفالاً يا ريك. فسانتيا كانت تتصرف عكس الأطفال تماماً، وكذلك الحال بالنسبة لبريدجيت.

ـ ليتك تتصرفين أنت بهذا التهور.

ـ ربما في يوم ما سأفاجئك.

ـ سأترقب ذاك اليوم بفارغ الصبر!

وستفاجئه، قريباً. ولكن المفاجأة ستكون بعيدة جداً عما يفكر فيه.

ذلك الأسبوع، خرجت ماري مع ريك ثلاث مرات، رافضة الخروج كل



www.elromancia.com

ليلة، وفي إحدى الليالي ذهبت إلى السينما مع ساندرا، وأمضت أخرى تغسل فما كان من ريك إلا أن قبل هذا العذر ونظر إلى الأول بريبة.

يوم الثلاثاء ذهبا لرؤية دون وهذا ما فعلاه أيضاً يوم السبت وذاك قبل أن يتوجها إلى المسرح لحضور مسرحية. ومنه إلى العشاء فيما بعد.

قال لها وهما يحتسيان القهوة بعد العشاء:

ـ لقد اتصلت بوالدي اليوم.

ارتجف الفنجان في يدها... فهو لم يذكر الموضوع منذ ذاك الحين ولأنها لم تشأ الضغط عليه بهذا الشأن فقد تركت لتصرفها البارد معه في الأيام الأخيرة، إعلامه بما تريده. فهي لم تمكث معه في مكان وحدهما إلا قليلاً. وهذا واقع أحس به فجعله بركاناً يوشك على الانفجار.

هذه التصرفات كانت نوعاً من التحفظ لإبقائه في متناول اليد وعلى بعد ذراع منها... فعندما افترقا الأسبوع الفائت وجدت أنها كانت تضعف كثيراً أمام عناقه، وكادت تستجيب لتوسلاته بالذهاب معه إلى منزله. ضعفها تجاه هذا الرجل أخافها... لذلك تجنبت بحكمة أن تبقى وحدها معه في أي وضع قد يحمل خطورة. ومعه ثمة أوضاع خطرة كثيراً.

وها هو الآن قد اتصل بوالده أخيراً. سألته بهدوء:

ـ ماذا قال لك؟

فتنهد، ووضع الفنجان من يده:

ـ ليس الكثير... وهذه عادته على كل الأحوال.

حبست ماري أنفاسها وهي تسأل:

ـ هل... ذكرتني له؟

أحست بقشعريرة تسري في كل جسدها وهي تفكر في لقاء عدوها بعد كل هذه السنوات... رد بحدة:

ـ طبعاً ذكرتك له... فأنت السبب الوحيد لاتصالي به.

كانت أعصاب ريك متلفة في الأيام الأخيرة، والسبب هو الإحباط الذي يحسه معها. أحست واثقة، إنها المرة الأولى منذ سنين عدة يضطر فيها ريك



للسعي إلى رضى فتاة. وبالتأكيد هي المرة الأولى التي يضطر فيها للانتظار ليشفي غليله من امرأة. لكنه لم يكن جاداً بشأن امرأة من قبل، هذا ما قاله يوماً، لذا فإن النساء اللاتي كان يصحبهن في الماضي كان يختارهن لعدم اهتمامهن أصلاً بالزواج... أما الآن فالوضع مختلف والكبت العاطفي يجعله في أسوأ مزاج.

قطع ريك الصمت:

ـ سنراه في الغد.

نظرت إليه ببرود:

ـ لا أذكر أنك طلبت مني هذا!

فرد بغضب:

ـ ولن أطلب منك. فهذه فكرتك، وأقل ما يجب عليك هو مرافقتي.

ـ أنا...

هبَّ واقفاً عن الطاولة ليدفع الفاتورة، وهو يقول بخشونة:

ـ دعينا نخرج من هنا.

ـ ريك...

قال من بين أسنانه:

ـ لم أعد أطيق.

نظر إلى مدير المطعم وهو يتقدم نحوهما حائراً متسائلاً عن سبب تركهما الطعام دون انهائه. لكن المسكين تراجع أمام نظرة ريك الباردة، هازاً كتفيه.

تلونت وجنتا ماري خجلاً وهما يخرجان، فلا شك في أن الحاضرين قد تكهنوا سبب إسراع ريك بالخروج. وهذا إحراج لم تشعر به قط!

ـ هذا أمر لا يمكن غفرانه! لم أُذَلَّ هكذا في حياتي!

عندما دخلت السيارة... بدت تعابير وجهه متجهمة. قاد السيارة بغضب في شوارع المدينة المزدحمة.

ـ ريك... هل سمعتني...



www.elromancia.com

- أجل.

أحست أن مزاجه غريب... فهو لم يعد يسيطر على نفسه، الليلة. ولا بد أنه وصل إلى نهاية ذروة قدرته على كبت أعصابه، ويبدو أن زيارة والده، التي لا يرغب فيها، هي السبب.

- إذا كنت تفضل عدم زيارة والدك... فلن نذهب.

حبست أنفاسها بانتظار رده. قال لها بإيجاز، دون أن ينظر إليها:

- لقد تمت ترتيبات الزيارة الآن. فبعد أن أخبرته عنك هو ينتظر مقابلتك.

وهي كذلك تنتظر مقابلة جورج ستيل! إنه الرجل الذي كانت تخافه وهي صغيرة. الرجل الذي كرهته وهي كبيرة. إنه الرجل الذي غدا في تفكيرها ذلك العملاق الكبير... اللابشري. تتذكره وكأنه نسخة أكبر سناً لريك. ولكن هذا كان منذ اثنتي عشرة سنة وهو الآن دون شك في السبعين وهذا يعني أنه أقلّ روعة.

قالت غير صادقة:

- هذا رائع.

- إذن سترافقيني غداً؟

- إذا كان هذا ما تريد.

- ما أريده يبدو غير هام كثيراً في علاقتنا...

سألها فجأة بعد صمت:

- هل ساندرا في المنزل الليلة؟

ردت على مضض، وهي تعرف سبب سؤاله:

- لا. لقد خرجت لقضاء أمسيتها مع أحد أصدقاء أخيها.

خروج ساندي سبب لها وضعاً حرجاً. فقد كانت تستخدم وجودها عذراً تتجنب به دعوة ريك إلى الشقة طوال الأسبوع. أما الآن فهي مضطرة إلى دعوته... فقالت:

- هل تود الصعود لشرب القهوة؟



رد بجفاء:

- لن أصعد إذا كان هذا ما ستقدمينه لي.

إنه يوضح نواياه قبل أن يرافقها إلى الشقة... وقبول دعوتها يعني بالنسبة له أشياء أخرى غير الدعوة فإما أن تقبل أو ترفض! وإذا رفضت فقد تخسره.

قال بوحشية وهو يوقف السيارة أمام المنزل بعد تأخرها بالرد:

- إن كنت ستتأخرين في اتخاذ قرارك أكثر فلن أزعج نفسي بالقبول. وعليه أرى أن نمتنع عن زيارة والدي حتى تتأكدي أنت من مشاعرك. فمرافقتك إلى مقابلته هو إعلان عن الزواج من ناحيتي. ولست مستعداً لأقول بعد أسابيع إنني فشلت.

- أنت تعلم أن هذا لن يحدث.

فسخر منها بمرارة:

- صحيح؟ أنا لا أسمع منك سوى الرفض... لم أناضل يوماً بهذه القوة لأصل إلى ما أريد، ولقد تعبت.

هذا ما كانت تظنه وما كانت تخافه، ومع ذلك فلو استسلمت لرغباته الآن، فالأفضل أن تودع أي فكرة للزواج.

فقالت ببرود:

- أظنك على حق يا ريك... الأفضل إلغاء زيارة والدك. إلى أن تتأكد من مشاعرك... فأنت في هذه اللحظات لا تهمك سوى رغباتك الجسدية!

صفقت الباب بعد أن خرجت من السيارة، ودخلت المبنى دون أن تنظر إلى خلفها.

مرت خمس دقائق مرهقة الأعصاب، قبل أن تسمع طرقات على الباب، علمت فوراً أن صاحبها ليس إلا ريك، ما إن فتحت الباب حتى بادرها قائلاً بسخرية:

- قولك إنه لا تهمني إلا رغباتي الجسدية قول لا تنطقه سيدة محترمة.

التقط أنفاسه قليلاً ثم أردف:



www.elromancia.com

ـ لكنك أوصلتني إلى شفير الإحباط حتى بت لا أعرف في أي يوم من أيام الأسبوع أنا اليوم. أنا أريدك يا قطتي بالطبع... لكنني لا يمكن أن أحبك دون أن أرغب فيك. وأنت كنت تصدينني طوال الأسبوع، تحرمينني حتى متعة لمسك... وأنا أحتاج إلى لمسك يا ماري... أحتاج إلى لمسك طوال الوقت.

كيف حدث ما حدث، لم تعد تعرف. كل ما وعته أنها كانت مستلقية على الأريكة وريك قربها.

ثم لم تشعر إلا وأنها محمولة على غيمة عندما حملها فيما بعد إلى غرفة النوم، امتدت ذراعاها إليه وهو يمددها فوق سريرها لكنه بدل أن ينضم إليها، انحنى ليلثمها على جبينها ثم انتصب واقفاً ينظر إليها بعينين اسودتا ثم قال بصوت أجش من العاطفة:

ـ أحلام سعيدة يا حبيبتي.

ـ هل... هل أنت... ذاهب؟

لم تصدق أن رغباتها لن تُلبَّى. هز رأسه:

ـ أنا مضطر لأظهر لك أنني أحبك أنت... لا جسدك فحسب.

ابتسم لها وهو يجلس قربها:

ـ لا شيء يسعدني أكثر من البقاء قربك. أضيع في غابة حبك ودفء ذراعيك لكن عليَّ أن أثبت لك أنني لا أريدك فقط، بل أريد حبك أكثر من أي شيء آخر في الوجود.

وقف وهو يتابع:

ـ أحبك يا ماري، وإن لم يكن عملي وقولي برهاناً فالخير في أن أتخلى عن المحاولة.

امتلأ وجهه توتراً مترقباً. عندها علمت أن هذا المجهود قد كلفه الكثير. فالألم ما زال واضحاً في عينيه... فاعترفت بصوت منخفض:

ـ لقد أثبتّ وجهة نظرك.

حُبست أنفاسه في حلقه، وهو ينظر إلى جمالها المتألق بين يديه، لكنه



تراجع وقال بقساوة:

ـ أريد ردك الآن يا ماري... هل تتزوجيني؟

لم تتردد وقد علمت أنه يحبها بقدر ما هي راغبة فيه تماماً.

ـ نعم.

لكن لماذا تحس بهذا اليأس يتسرب إلى نفسها في وقت يجب أن تحس فيه بالسعادة؟

أغمض ريك عينيه، وكشفت تنهيدته عن الراحة التي أشعره بها ردها:

ـ أخبريني.

علمت ماذا يريد منها أن تقول، ومع ذلك فقد حاولت التهرب من الكذب، وقد أدركت للمرة الأولى براءة ريك من كل هذا. لقد قررت بكل برود أن تنتقم من جورج ستيل عبر ابنه وحبه لها دون أن تفكر لحظة في الأثر السلبي الذي سيقع على الابن عندما ستدمر ذلك الحب العظيم بكل وحشية.

أيقنت الآن أن ريك ليس ممن يقع بسهولة في الحب وبما أنه اعترف الآن بحبه العميق في بداية علاقتهما فيا ترى أي تمزق قد يحل به عندما تنهي هذا الحب. فلماذا لم تفكر في هذا قبل أن تخوض هذه المعركة؟ في ذاك الوقت ما كانت تفكر في ريك، وما كانت تهتم بما سيصيبه من جرّاء الانتقام من أبيه!

لكنها الآن مهتمة. مهتمة أكثر مما كانت تدرك! قالت له وهي تعرف أن قولها هو الحقيقة:

ـ أحبك.

لقد وقعت في حبه دون أن تعي. لقد أحبت ابن الرجل الذي تكرهه أكثر من أي شيء آخر في حياتها. وريك ليس ممن يسامح بسهولة. وعندما يعرف الحقيقة، فسوف يرغب في تدميرها دون شفقة كما أرادت أن تدمر والده.

رددت:



www.elromancia.com

ـ لكنك أوصا!
أيام الأسبوع أنها إليه تشده إليها والدموع تطفو من عينيها ببطء. ماذا باليد الآن؟ كيف لها أن توقف انتقامها دون أن ينعكس عليها مؤلماً مدمراً؟

●●●



## ١٠ ـ أصابع الماضي

في اليوم التالي، بعد ليلة سهاد طويلة. رافقت ريك إلى منزل والده صامتة.

كان ريك قد تركها بعد وقت قصير من بوحها له بحبها، وعندما وصلت ساندرا بعد نصف ساعة، أدركت ماري أنه حان دورها للتظاهر بالنوم، تجنباً لأسئلة صديقتها.

كانت دموعها طوال الليل تنهمر على وجنتيها ومنها على الوسادة... متى وقعت في حبه؟ وكيف وقعت فيه؟ إنها لا تدري... كل ما تعرفه أنه عندما سيخرج من حياتها، سترغب في الموت.

مرت عليها الليلة وكأنها تخوض غمار أحد تلك الكوابيس التي كانت تحرّرت منها منذ فترة طويلة. لكن الحلم هذه المرة، أو الكابوس، قد انتهى الآن. وها هي تواجه حقيقة حبها له تصدمها بقوة.

إنها تحبه... تحب كل شيء فيه وكل ما يحيطه... تحب ظلمة شعره الكثيف وخصلاته الرمادية على فوديه... وعينيه الدافئتين الرماديتين عندما تنظران إليها... وانحناءة فمه الشهوانية... وقساوة جسده الجميل. أحبت سرعة خاطره وقوته، وجو الامرة فيه. أحبت الرجل نفسه، وتعرف أن حبها له يعادل قوة حبه لها.

ومع ذلك فهي عالقة في شرك انتقام هو من صنع يديها، انتقام سيدمر في النهاية حبه لها. انتقام مجنون لا تعرف كيف السبيل إلى إيقافه. ها قد فقدت زمام الأمور أخيراً. يا ترى ماذا سيحدث عندما يخبره جيدون عن



www.elromancia.com

هويتها. وهي لا تشك إطلاقاً في أن حب ريك لها هو حب حقيقي، لكنه عندما يعرف هويتها... ارتعبت حينما تصورت ما قد يحدث.

نظر إليها ريك، وقد أحس بها ترتجف:

ـ أبك شيء يا حبيبتي؟ أعتذر لأنني أعطيتك انطباعاً خاطئاً عن والدي. هو في الحقيقة ليس غولاً. لا أنكر أننا لم نتفق. لكنني أظنك ستجدينه ساحراً. لقد كان يوماً محط أنظار الجميلات.

قضمت ماري شفتها من الداخل... فهذا هو الوجه الذي تخافه من جورج ستيل. اثنتا عشرة سنة مرت، اثنتا عشرة سنة كانت بالنسبة لها دهراً، خلالها نمت الفتاة الصغيرة المشوشة التفكير وأضحت امرأة واثقة من نفسها، ومع ذلك فإن مظهرها الأساسي ما زال كما كان... قد تكون نضجت ونحفت، ولكن شعرها ما زال كالغيمة الحمراء الذهبية، وعيناها ما زالتا بنيتين لامعتين وتقاسيم وجهها ما زالت هي هي.

أمسك ريك بيدها:

ـ لا تقلقي يا قطتي... سأكون إلى جانبك.

كان المنزل الذي أوقف عنده ريك السيارة يبعد حوالي الخمسين ميلاً عن ملبورن في قرية حالمة صغيرة... وكان المنزل يشبه منزلاً صيفياً كبيراً، مدهوناً بالأبيض ليتلاءم مع سائر منازل القرية.

خرج ريك من السيارة ليفتح لها الباب، ثم قال ساخراً:

ـ إنه ليس بالضبط ما قد تتوقعينه لجورج ستيل!

وهذا ما كان. لكن إذا كان المنزل لم يدهشها كثيراً... فقد صدمها جورج ستيل الذي وجدته في كرسي نقال!

أخرجتهم الخادمة إلى الحديقة الواقعة خلف المنزل، حيث كان جورج ستيل بانتظارهم في الكرسي النقال، تحت سقيفة كبيرة تظلل الرجل العجوز الرمادي الشعر ذا العينين المحدقتين اللتين كانتا فيما مضى كعيني الصقر واللتين اعتمتا بفعل العمر.

كل ما استطاعت أن تحس به ماري وهي تنظر إلى هذا الرجل الحزين،



هو الشفقة. سخرت من خطط انتقامها لكرامة ذويها.

قال لها بصوت قوي، عميق، آمر:

ـ أرجو معذرتي لعدم الوقوف... لكن كما ترين... أنا لا أستطيع.

ابتسم ليخفف من حدة كلماته... فردت دون تعاطف:

ـ لا...

لم تصدق الشفقة التي أحست بها تجاه هذا الرجل. تذكرت مثلاً يقول: «كلما كنت عظيماً كلما كان سقوطك أعظم». وجورج ستيل، سقط! نظرت حولها بإعجاب:

ـ لديك منزل جميل سيد ستيل.

فتنهد، دون تأثر:

ـ صحيح... إذن يا ريك... هذه هي الشابة التي أردتني أن ألتقي بها.

نظرت إلى ريك... فرأته شخصاً آخر غير ذاك الذي تحبه... إنه الآن بارد العينين قاسي النظرات ينظر إلى ذاك القابع في الكرسي بنظرات لا تخفي كرهاً. تحركت ذراعه حول خصرها:

ـ أجل هذه ماري... خطيبتي!

اتسعت العينان الفضيتان وهما تنظران إلى ماري نظرة جديدة:

ـ حقاً؟

أحست بالتوتر أمام هذه النظرة... هل عرف هويتها؟ هل يقدر أن يعرف هويتها وهي متذرعة بقناع ماري دالمونت المتكلف؟ قد تصاب بنوبة قلبية إن عرفها. دنت من ريك أكثر فأكثر، فأحست بذراعه تشتد على خصرها.

قال جورج ستيل:

ـ ذوقك كالعادة معصوم عن الخطأ يا ريك. هل لك أن تطلب من السيدة جارود تقديم الشاي؟

نظر إلى ابنه الشاب متحدياً. فبدا على ريك التردد، ثم أطرق ببطء وكراهية، وهز كتفيه لماري متأسفاً قبل أن يبتعد نحو المنزل ليتحدث إلى

مدبرة المنزل.

ـ اجلسي يا عزيزتي.

استدارت متوترة الأعصاب نحو جورج ستيل. وجلست على أحد مقاعد الحديقة... سألها جورج ستيل ساخراً من توترها:

ـ لست مخيفاً إلى هذا الحد يا ماري...

بللت شفتيها الجافتين فجأة:

ـ أنا... ماذا تعني؟

فابتسم متسائلاً:

ـ لقد ابيضّ لونك.

تلك الابتسامة... محفورة في ذكراها؟ إنها طعم للبريء الغافل...

رفع حاجبيه الأشيبين.

ـ اسمك ماري... أليس كذلك؟ أم أن هذا ما يسمّيك به ابني تحبباً؟

خرج صوتها بقوة:

ـ لا... لا! اسمي ماري!

ـ اسم عادي.

اصطبغ وجهها باللون الأحمر فنظرت اليه قلقة ثم رفعت نظرها عنه وألقته على سروالها البني.

ـ أجل.

ـ إذن أنت تنوين الزواج من ابني؟

فهزت رأسها وهي تعرف سلفاً أنها لن تكون زوجة ابنه:

ـ أجل.

ضاقت عيناه:

ـ ومتى سيتم الزواج؟

فاحمرّ وجهها:

ـ آه... نحن... لم نقرر الموعد.

ـ لا؟



ـ لقد قررنا الخطوبة بالأمس فقط.

فابتسم:

ـ ولدي لا يهدر وقته عادة في تقرير شيء.

لم يكن لديها رد على هذا، فهي تعرف أن التأخير في إعلان الخطوبة مرده إلى معارضتها هي. أما الآن وبعد أن وقعت في حبه شرّ وقعة فقد غدت عاجزة عن الزواج منه رغم حاجتها إليه. قال لها جورج ستيل:

ـ لا يبدو أن خطيبك يثق بي.

طغى الارتياح على وجه ماري عندما عاد ريك الذي رفع حاجبيه متسائلاً بفضول. جلس قربها ليمسك يدها، ويشبك أصابعه بأصابعها. سألها برقة متوترة:

ـ هل كان والدي يزعجك بمزاحه؟

ـ آه...

سخر والده من توتره:

ـ منذ متى تعرفني أزعج الناس بالمزاح يا ريك؟

فسارع الابن للقول:

ـ أبداً... يا ماري.

صمتت لأنها لم تشأ أن تكون سبباً لجدال يقع بينهما.

ـ كنت ووالدك نتحادث فقط.

قال والده:

ـ كنت اسألها متى سيتم الزواج.

انتقلت عينا ريك الباردتين إلى العجوز:

ـ سأدعك تعرف الموعد. أتريد أن تكون موجوداً؟

ـ بالطبع!

ردد ريك على مضض:

ـ بالطبع.

بدا أن العداء بين الرجلين قد خفت وطأته عندما أقبل الشاي على يد



www.elromancia.com

امرأة صغيرة الحجم ممتلئة الجسم، تراجعت إلى المنزل حالما وضعت الصينية على الطاولة.

عندما كانت ماري تسكب الشاي قال ريك لوالده ممازحاً:

ـ أرى أنك ما زلت ترعب السيدة جارود.

رد الوالد ضاحكاً وكأنه يتمتع متذكراً رياضة الصيد:

ـ إنها تجري كالأرنب المذعور، إذا كان هذا ما تقصد.

كان احتساؤهم الشاي في الحديقة رائعاً، لكن التوتر القائم بين الأب وأبيه، التوتر الذي كان يشبه قنبلة موقوتة لا تعرف متى تنفجر، جعلها لا تتمتع بهذه الروعة.

عندما اقترح ريك المغادرة بعد ساعة أحست ماري فوراً بالراحة فسارعت إلى الوقوف، فما كان من جورج ستيل إلا أن علّق قائلاً:

ـ عروس المستقبل تبدو ملهوفة على الذهاب... أظنها وجدتنا لا نقهر.

ـ معظم الناس يظنون هذا... وأذكر أنه كان لوالدتي هذا الرأي.

امتقع وجه الأب:

ـ لا تذكر اسم أمك في هذا الموضوع.

ـ لا... لن أذكرها... سأعلمك بموعد الزفاف.

قال جورج بنعومة سيطر بها على الغضب الذي اعتلى وجهه منذ لحظات:

ـ من المبهج مقابلتك يا ماري.

امتنع ريك عن الكلام خلال الأميال العشرة التي قطعاها أثناء رحلة العودة. أما هي فغرقت في أفكارها. كانت تخشى كثيراً من ذاك اللقاء أما الآن بعد أن رأت جورج ستيل فقد زال من نفسها كل خشية بل حلّ مكانها شفقة.

إنه رجل عجوز يحس بالمرارة، يعيش حياته مقعداً في كرسي نقّال، محروماً من حب ولده الوحيد. الآن لم يعد لذاك الرجل إلا ذكريات مجده الماضية... ووحدة جعلته يشيخ قبل الأوان.



التفتت إلى ريك عابسة:

ـ ما كنت أعلم أن والدك مقعد.

فرد بخشونة:

ـ إنه لا يحب الإعلان عن عجزه. بل إنني في الواقع لا ألحظ عجزه فمقعد كان أم لا سيكون هو هو ذو لسان فتاك كلسان أفعى سامة.

ـ كيف أصيب بذلك؟

ـ إثر حادث سيارة... قتلت فيها أمي.

ـ أنا آسفة.

ـ أجل... وأنا كذلك. كان يجب أن يموت هو... يا إلهي... أنا آسف.

تأوه عندما سمع شهقتها فقد صدمها كلامه هذا:

ـ إن رؤيته تجعلني أظهر بمزاج ناري. ليس بيني وبين والدي حب يذكر.

ـ أجل لاحظت هذا.

أخذ نفساً عميقاً ليهدىء أعصابه:

ـ هل أرضاك لقاؤه الآن؟

أمسكت بيده تبتسم:

ـ اوه يا ريك... ليتني...

امتدت يده ليشبك أصابعهما معاً:

ـ أعلم...

ليته يعلم... ليته يفهم المرارة التي اعتملت في نفسها زمناً طويلاً والتي تلاشت الآن أمام حبه. كان يمكن أن تعيش العمر كله مع تلك الكراهية وينتهي بها المطاف عجوزاً تشعر بالمرارة لجورج ستيل. ارتجفت عندما راودتها هذه الفكرة فهي تعرف أن ابن جورج ستيل، ويا لسخرية القدر، هو الذي أنقذها من هذا المصير. لكنها قد تخسر ريك في النهاية، وعندها لن تعود أبداً تلك المرأة المليئة بالحقد، الخائفة من الحب.



www.elromancia.com

سألها ريك بلهجة رقيقة:

ـ هل أبعدك لقاؤك به عني؟

ـ لا... أنت لست كوالدك.

هذا ما أدركته جيداً، ولكن متأخرة... متأخرة جداً...!

ـ هل نذهب في الغد لشراء الخاتم؟

فابتلعت ريقها:

ـ غداً؟

ـ لِمَ الانتظار؟ المسكينان جنجر وبيتر سيواجهان عدة صدمات بعد عودتهما اليوم... دون في المستشفى، ونحن مخطوبان.

نظرت إليه متوسلة:

ـ هل لنا أن نحتفظ بالأمر سراً بضعة أيام؟

فقطب جبينه:

ـ لماذا؟

ـ لأن... حسناً... لأننا لم نعرف بعضنا فترة طويلة... وظننت أننا ربما...

ـ أريد أن يعرف الجميع أنك لي وعلى الأخص أحد الأشخاص.

عرفت على الفور من يقصد بقوله:

ـ هامش... لكنك تعرف أنه لا يعني لي شيئاً يا ريك.

ـ لن أتأكد من هذا حتى تصبحين ملكي... عندها سأبعد كل الرجال عن قلبك. وسأبعدهم يا ماري. ولو طال هذا حتى آخر العمر.

بللت شفتيها بطرف لسانها، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ ريك... لا رجل آخر في حياتي ولم يكن قط لا في قلبي ولا في... لقد كذبت عليك بشأن علاقتي بخطيبي السابق.

فسألها بخشونة:

ـ لماذا؟

ـ لأنني... أنا...



ـ لأنني كنت متعجرفاً معك... ولكن... ما كان يجب أن تقولي الحقيقة يا قطة!

ـ لماذا لا؟

نظر إليها والنار تشتعل في عمق عينيه.

ـ لأنني كنت أنوي أن أحملك إلى بيتي لأبثك حبي لكن بعد أن عرفت الحقيقة يجب أن ننتظر.

لكنه مع ذلك انحنى إليها يعانقها بشوق وشغف فما كان منها إلا أن طوقت عنقه وبادلته عناقه بعاطفة جيّاشة.

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلاً عندما أوصلها إلى منزلها وذلك بعد أن تناولا الطعام في أحد المطاعم ثم قضيا الوقت في الرقص بتناغم لا نظير له. كأنهما جسد واحد، تحرّكهما عاطفة قوية تشدّهما إلى بعضهما بعضاً كالسحر.

عندما دخلت الشقة وجدت صديقتها في الشقة فقالت لها:

ـ طلبني ريك للزواج.

ـ هل وافقت؟ إياك أن ترفضي فريك أحبك منذ وقعت عيناه عليك وهذا ما كان سيلاحظه أي إنسان راكما... أتريدين بعض الطعام؟

ـ لا شكراً لك.

دخلت غرفة النوم لتغير ثيابها ثم تابعت:

ـ لقد تناولت العشاء مع ريك.

هزت ساندرا رأسها وهي تقف عند الباب. بينما أخذت ماري ترتدي ثوب النوم. وسألت ساندرا:

ـ كيف كان لقاؤك بوالده؟ هل هو رائع كما يقال؟

ردت ماري بصدق دون حاجة للتفكير:

ـ لا... في الواقع رجل عجوز حزين. كيف كان موعدك مع صديقك الجديد يوم السبت؟

فهزت ساندرا كتفيها وقالت:

ـ لا بأس. لقد خرجت معه اليوم أيضاً... ولا أظن أنه سيكون «حب حياتي» لكنه لطيف... على فكرة جاءك زائر اليوم.

ـ صحيح؟

كانت ماري مشغولة بالتفتيش في خزانتها عن روب النوم فقطبت ساندرا:

ـ أجل.

ـ ومن كان؟

وجدت الروب فارتدته. هزت ساندرا كتفيها:

ـ لم يقل!

فزاد اهتمام ماري حدة:

ـ أكان الزائر رجلاً؟

فهزت ساندرا رأسها:

ـ أجل... سألني عنك وحسب، وعندما قلت إنك لست هنا قال إنه سيتصل بك.

فابتسمت ماري:

ـ أرجو أن لا يحدث هذا بوجود ريك... فهو... متملك جداً.

ضحكت صديقتها:

ـ أجل... لاحظت هذا!

كان باب ريك مقفلاً عندما دخلت المكتب في اليوم التالي. وهذا ما تريده لأنها إن نظرت إلى عينيه ورأت العواطف فيهما، لما استطاعت أن تفتح البريد حتى كما أنها لن تستطيع العمل لو اقترب منها، أو نظر إليها، أو لمسها.

انفتح باب مكتبه، فرفعت رأسها بابتسامة المحب. لكن الابتسامة تجمّدت على شفتيها، عندما طالعها الرجل الواقف في الباب... إنه جيدون هاريس... الذي كان في الداخل مع ريك!



ماذا قال له؟ وماذا أخبره؟ إنها تعرف الرد تماماً.

لقد اختُطِفت منها السعادة قبل الأوان.

● ● ●



www.elromancia.com

## ١١ ـ الآباء يأكلون الحصرم...

أغلق جيدون الباب ثم دنا منها. لم يكن جيدون قد تغيّر أبداً فما زال يقص شعره الأشقر قصيراً وما زال طويلا، وحدها الخطوط المحيطة بعينيه ستخبرها عن تقدمه في السن.

نظرت إليه نظرة جديدة، تتساءل كيف استطاعت يوماً أن تحبه. ذاك الحب الذي جعلها تفكر في الانتقام من ريك حبيبها. اوه... إنه وسيم ولكنه ضعيف. يا ترى كيف استطاع أن يتحدى والده ويحاول الزواج منها.

تطلعت ماري إليه وهو يتقدم نحوها فهزت رأسها محيية:

ـ جيدون.

رد بلهجة قاطعة:

ـ ماري... أتعلمين سبب وجودي هنا؟

التوى فمها، ورفضت أن تتركه يحس بالألم الذي يعتصرها:

ـ لا يصعب التكهن.

هذا صحيح... فلقد كان جيدون يحسب بأنها أذلته منذ خمس سنين. نظر إليها ممعنا النظر إلى جسدها النحيل.

ـ أنت أجمل مما مضى.

كأنما هذه المعرفة أغضبته... اتسعت عيناها عندما شاهدت عاطفة تلمع في عينيه... الحب... أجل. لقد شاهدت الحب يبرق للحظات قصيرة في عينيه. ومع ذلك فها هو اليوم يدمر حياتها ثانية. وسألته:

ـ هل زرتني بالأمس؟



فهز رأسه:

ـ أجل. كنت في الخارج مع ستيل. حسب قول زميلتك.

صمت لحظات ليكمل بخشونة وسخرية:

ـ ستيل يا ماري؟ ظننتك ستختارين أي شخص إلاه! فلقد أوضحت لي مشاعرك بشأن والده مرة.

احمرّ وجهها بقوة وقد تذكرت حديثهما... لقد قالت له ولوالده يوماً إن جورج ستيل كان مخطئاً في حكمه على والدها، وإنها تكرهه، وستظل تكرهه إلى الأبد.

تابع جيدون ساخراً:

ـ ولكن يبدو أنك تحبين الابن وهذا مالا أصدّقه أنا وهو.

شحب وجه ماري بالسرعة التي احمرّ فيها وجهها.

ـ وماذا أخبرته؟

رد عليها بخفة وهو يجلس على طرف طاولتها:

ـ الحقيقة ليس إلا. أخبرته أنك أقسمت على الانتقام من والده.

ـ وهل... صدقك؟

سمعت صوت همهمة ريك وهو يتحدث هاتفيا... أكد لها جيدون بازدراء:

ـ بالطبع صدقني... فهذه هي الحقيقة.

ردت عليه بصوت متألم:

ـ أجل... إذن أختك بريدجيت عرفتني؟

ـ حالما رأتك... عندما عدت من شهر العسل أخبرتني.

فقالت له بفتور وهي تنصت إلى ما يجري داخل مكتب ريك.

ـ زوجتك جميلة جداً.

فقال باختصار:

ـ أجل... فوالدها هو اللورد كينهام.

فهزت رأسها دون وعي:



www.elromancia.com

ـ هذا ما عرفته.

فكرت وهي واقفة هناك: لماذا لم يأتِ لمواجهتك ريك حتى الآن؟ وبم يفكر يا ترى؟لماذا لم يعصف في وجهها طلباً للتفسير، فهذا هو أسلوبه لا لعبة الانتظار التي يقوم بها الآن.

أضاف جيدون متباهياً:

ـ إنه مرشح للوزارة... أتعرفين هذا؟

لا... إنها لا تعرف لكنها الآن باتت تفهم جيدون الذي ما كان ليتزوج إلا امرأة تقدّم له الكثير الكثير. فجيدون رجل طموح. وبما أن حماه لورد فهو سيسعى إلى أن يتبوأ منصباً أفضل من مهنته. ولعله يخطط منذ الآن إلى تبوء هذا المنصب. سخرت منه قائلة:

ـ ما أروع هذا!

هز رأسه، دون أن يلحظ سخريتها وتابع اعتزازه:

ـ أليست زوجة تناسبني.

ردت بتصلب:

ـ أنا مسرورة لك.

نظر إليها ببرود:

ـ صحيح؟ لكنك فعلت المستحيل لتدمير حياتي منذ خمس سنوات.

ـ والآن تسعى إلى تدمير حياتي!

وقف وهو يقول:

ـ أجل... ألا تظنين ذلك عادلاً؟

ابتلعت ريقها:

ـ هل وجدت سعادتك الآن؟

أحنى رأسه قليلاً لينظر إلى وجهها مباشرة:

ـ أجل... لكنك لن تعرفي كم كنت أتوق لتكون سعادتي معك... لقد أحببتك يا ماري... أكثر مما أحببت أية امرأة بما فيهن أليس... لكن بما أنني متزوج الآن... وأنت متحررة من ستيل...



طالبته بسخرية أن يكمل. إنها لا تصدق ما تسمع، ولا تصدق أنها تتعرض إلى هذه المهانة. تابع جيدون بلطف:

ـ لا حائل يحول دون لقائنا... وذلك في الوقت المناسب لنا، بالطبع!

أغمضت عينيها وموج أحمر من الغضب يمتد أمامها... سألته بحنق:

ـ وإن لم يناسبنا...

ـ ولِمَ لا؟ فأنا ما زلت أرغب فيك.

وقفت ماري وهي تهتز غضباً ثم قالت له ببرود:

ـ اخرج من هنا... لست أدري كيف حسبتُ يوماً أنني أحبك! أنت مقرف وبغيض! اخرج من هنا، فلقد قمت بما تسعى إليه مسبباً أذى كافياً ليوم واحد!

اتسعت عيناه كمن لا يصدّق ما يسمع:

ـ أنت حقاً واقعة في حب ستيل؟

ـ أجل!

ضحك ضحكة كريهة:

ـ يا إلهي! مسكينة يا ماري.

استمر يضحك إلى أن وصل إلى الباب. مسكينة يا ماري... هذا صحيح...

لا حركة إلى الآن في مكتب ريك. مع أن الحديث التلفوني قد توقف... الصمت! غدا مؤذياً وماري تتوق إلى قرع الباب لكنها عادت فعدلت عن ذلك خشية مما قد يترتب عنه.

أطلت جنجر من جانب الباب:

ـ ثمة ما يحول دون دخولي؟

بدت جنجر بعد رحلة شهر العسل متألقة. دخلت الغرفة وعيناها تمزحان:

ـ لقد سمعت إشاعة تقول إنه ليس من الأمان الدخول إلى غرفة تكونين فيها وريك وحدكما.



www.elromancia.com

ابتسمت ماري، لأنها لم تشأ تكدير سعادة جنجر المشرقة.

- حقاً؟ ومن قال هذه الإشاعة؟

فضحكت جنجر:

- إنه دون. عندما ذهبنا لنزوره في المستشفى البارحة، أخبرنا عن علاقتكما. لقد بدا لي على ما يرام.

فهزت رأسها:

- أجل.

- لقد غضب بيتر لأنهم أخفوا أمر مرض والده عنه لكن لا يسعني القول إلا أنهم أحسنوا فيما فعلوا... بيتر يحادث ريك الآن هاتفياً.

جلست على كرسي مقابل ماري التي كانت تعرف أن المكالمة انتهت منذ دقائق... ومع ذلك فقد بقي ريك في مكتبه... ماذا يفعل يا ترى؟

سألتها جنجر مازحة مرة أخرى:

- كيف تجدين رئيسك الجديد؟

- يعجبني.

- لكن دون يعتقد أنك أكثر من معجبة به.

فابتسمت ماري وهزت رأسها:

- لا أعتقد هذا، في الواقع هو يفضل أن تكوني سكرتيرته.

أصابت الحيرة جنجر:

- هل يفضل هذا؟

- أجل... فهل تمانعين؟

فهزت جنجر كتفيها:

- أنا لا اعتراض عندي. لكن لا أعلم ما سيكون رأي بيتر... فأنا...

انفتح باب المكتب الداخلي، وظهر أخيراً ريك الذي بدا مختلفاً كل الاختلاف عن ذاك الرجل الذي كانت تطوقها ذراعاه. بدا شاحب الوجه بارد العينين زائغ البصر. تحيطه هالة من التحفظ تجعل المرء غير قادر على الدنو منه.



رد على تحية جنجر المرحة بخشونة دفعتها للخروج في لحظات.

أحست ماري أنها مضطرة لتقول شيئاً... كي تتكلم على الأقل:

- ريك... أنا...

تراجع ليفتح الباب مقاطعاً:

- هل لك أن تأتي إلى هنا؟

- اوه... ريك...

فقاطعها ثانية بقساوة:

- ألا يمكنك الانتظار إلى أن نصبح داخل المكتب.

مرت على مضض، ثم جلست... بينما أخذ هو يذرع الغرفة، تحس بنظراته مسلطة عليها وهي جالسة في مكانها تحملق في يديها المرتجفتين بشكل واضح.

اخترق صوته الصمت المزعج:

- قد أكون مفرطاً في الأمل لو أملت أن ما سمعته غير صحيح؟

ردت بصوت متحطم:

- صحيح...

- لماذا لم تخبريني بحق الله؟ لا... دعيني أتكهن فلو عرفت من أنت لما استطعت الشروع في الانتقام؟

استمرت ماري تنظر إلى حجرها:

- لا.

- إذن أنت لا تنكرين أنك قبلت الخروج معي بغية الانتقام؟

- لا... ولكن...

تابع بوحشية:

- وليلة أمس وافقت على الزواج. أكان ذلك من ضمن خطة الانتقام؟

رفعت الآن بصرها إليه، وقد اسودت عيناها.

- لا!

جاء نفيها رجاء.



www.elromancia.com

- لا؟

أضحت عيناه باردتين كقطعتين من الجليد. فقد هجرهما كل الدفء وحل مكانه القساوة فغدت أساريره كحجر «الغرانيت».

- وكنت تسعين بزواجك مني إلى غرز السكين عميقاً في قلبي.

- لا...

- حسناً... لقد أحسست بهذا الألم يا ماري... ليلة أمس حسبتني أحب المرأة التي بين ذراعي، المرأة التي ظننتها تحبني في المقابل... وبدلاً عن هذا أكتشف أنك ما كنت تسعين إلا إلى المزيد من الإيلام.

برز الاحتقار في عينيه... وهو يسألها:

- أخبريني متى كنت ستكشفين عن هويتك، قبل الزواج أم بعده؟

- بعده... ولكن...

قاطعها ساخراً من نفسه:

- طبعاً فيما بعد... بعد أن تصبح ابنة تشارلز وايلز زوجتي!

وقفت ماري باضطراب، إنها تعرف أن من حقه الغضب. وان كل ما قاله حتى الآن كان الحقيقة بأم عينها.

سألها بحدة:

- ماذا كان يخبرك جيدون هاريس منذ قليل؟ اوه... أجل... استطعت سماعكما.

شهقت من الدهشة! طبعاً يستطيع فإن تمكنت هي من سماعه وهو يتحدث هاتفياً فهذا يعني أنه أيضاً كان قادراً على سماع حديثها مع جيدون.

رفعت رأسها بشموخ وقالت له وكأنها تتحداه:

- لقد عرض علي إقامة علاقة معه.

ضاقت عيناه:

- وهل قبلت؟

- بالطبع لا!

فسألها بقساوة:



- ولماذا لا؟ إنه سبب كل هذا؟ لم يكن أبوك السبب أبداً... بل جيدون هاريس!

تجنبت النظر إلى عينيه:

- لا أفهم ما تعني.

- عندما جاء إلي ليخبرني أنك ماريام وايلز، وأنك أقسمت أمامه يوماً على الانتقام من والدي كان أول رد فعل لي الرغبة في الخروج إليك لأهزك حتى أزهق روحك من بين جنبيك. ولكنني عدت فأمهلتُ نفسي بعض الوقت للتفكير... لقد تغيرت معاملتك لي فجأة في الأسبوع الذي تزوج فيه جيدون. أنا أعرف كل شيء عن فسخ خطوبتك منذ خمس سنوات... على الأقل أعرف أن ماريام وايلز فسخت الخطوبة. أتعلمين لماذا رفضت حضور زفافه؟ إن ما فعله بماريام وايلز كان السبب.

قطبت ماري:

- لست... لست أفهم.

التوى فمه:

- لا... ولن تفهمي. أما زلت لا تفهميني بعد الأيام التي أمضيناها معاً؟ هل تظنين أنني كنت راضياً بما فعله أبي بأبيك؟ وهل تظنين أنني استطيع العيش مع الرجل الذي دفع أحدهم إلى الانتحار؟

نظر إليها بشدة:

- كرهت الطريقة التي استخدمها في قضية والدك، وكرهته للعذاب الذي سببّه له... سواء أكان مذنباً أم لا... ولقد تضاعف كرهي له عندما انتحر والدك من اليأس!

كان وجه ماري قد اصطبغ بحمرة الخجل عندما ذكرها بالأيام التي أمضياها لكنه عاد فشحب عندما كشف لها عن مشاعره حيال الطريقة التي استخدمها والده في قضية والدها، وكيف دفعه هذا للانتحار... لقد كانت تعلم بعض الشيء عن أسباب الكره الذي يحمله ريك تجاه والده، عن سبب رحيله إلى بلاد بعيدة، أمضى فيها سنوات طوالاً. لكن في سعيها الأعمى



www.elromancia.com

إلى الانتقام، تجاهلت الحقيقة.

تابع ريك بصوت فولاذي:

ـ لقد كرهت ما فعل بك... وبأمك... بل حاولت أن أفتش عن... أمك بعد الحادثة... والله وحده يعلم ما كنت أفكر في القيام به. وكم تقت إلى أن أعتذر منها. وإن كنت أعلم أن لا جدوى منه، فلا شيء كان سيفيدها في مثل ذلك الوقت.

سحب أنفاساً مضطربة ثم أكمل.

ـ ولم يكن لدي أية فكرة عن وقع التأثير النفسي عليك وعن الحد الذي قد تصلينه طلباً للانتقام.

توقف قليلاً ثم سألها ببرود:

ـ أما زلت تحبين جيدون... أهذا هو السبب؟

فقالت له بصوت متقطع وهي ترتجف حتى أعماقها:

ـ أنا أحبك أنت.

لم تكن تشك بكلمة مما قاله فهي تعرفه جيداً وتعرف أن هذا بالضبط ما حدث. رد عليها بخشونة:

ـ دعك من هذا الكلام.

ـ لكنها الحقيقة!

فهز رأسه:

ـ لا أستطيع القبول بها. فالعلاقة لن تعود بيننا إلى سابق عهدها لأننا كلما سنتجادل... وكثيراً ما سنتجادل... ستتذكرين ما فعله أبي... وهذا ما لن أقدر على العيش معه.

بدأت الدموع تنهمر من عينيها فقالت بصوت متهدج:

ـ لن أطلب سوى أن أكون معك! ولك أن تأمرني بأن أتركك متى شئت.

اختفى من وجهه كل تعبير وتلبدت عيناه واعتمتا، دون أن تفصحا عن ردة فعله على رجائها... قال بهدوء:



ـ وأنا أطلب منك الرحيل الآن!

ابتعد عنها، محني الكتفين. مطأطىء الرأس.

ـ لقد اتفقت مع بيتر على أن تحل جنجر مكانك منذ صباح الغد وهذا ما سيخبرها به الآن. أما أنت فستحلين مكانها.

ـ إذا كنت تفضل ترك المؤسسة كلها فسأفعل.

قال ساخراً:

ـ لا... دون ما زال مريضاً، وإذا عرف أن سكرتيرته المفضلة قد تركت العمل فسيصاب بنكسة. وأطلب منك البقاء إلى أن يستعيد كامل صحته.

حدقت ماري بظهره المنحني:

ـ ثم أترك؟

فهز رأسه ببرود:

ـ أجل... ثم تتركين.

ارتدت على عقبيها وهي تنتحب، وغادرت الغرفة.

كان الأسبوع التالي اسوأ أسبوع شهدته في حياتها، فقد بلغت فيه إلى أدنى درجات الأسى... وإن ظنت أنها مهجورة عندما تركها جيدون، فهي الآن تعرف معنى الهجر الحقيقي.

فريك لم يكن أكثر من متعجرف فظ يسير أمامها في المبنى وكأنه لا يراها. وإذا كانت نهاراتها تمضيها وليس لها من أمل إلا رؤيته من بعيد، فإن لياليها كانت تمر بها أليمة. وكانت خلال أرقها تذرع غرفة الجلوس ذهاباً وإياباً لكن بحذر حتى لا توقظ ساندرا.

عندما تناولت الغداء مع جنجر، أعلمتها أنه سيء المزاج، حاد الطبع لكن ماري تعلم أنه عكس ما تقوله جنجر. وإن كان في كلامها من دلالة فهو أنه مثلها يعاني ما تعانيه من جرّاء ما صنعته يداها. هو دون شك يحبها لكن لا أمل لحبهما هذا أبداً.

تغضن وجه عمتها حينما وصلت يوم الأحد تزورها:



www.elromancia.com

- ماذا حل بك بحق الله؟ مظهرك فظيع!

ردت ماري بخفة لا تملكها:

- ما جئتك إلا لتجعليني أحسّ بالسعادة.

نظرت إليها العمة أديث بانفعال:

- لا تهزئي بي أيتها الشابة، فلست طاعنة في السن حتى تهزئي بي هكذا... والآن أين ريك؟

وقعت كلماتها في المرمى تماماً... أجابت ماري بصراحة مماثلة:

- لم أعد أراه.

- لماذا؟

فهزت كتفيها:

- لأنني لا أراه!

فقطبت العمة حاجبيها وقالت:

- ثمة أفكار سيئة تدور في رأسي، هل عرف أنك ماريام وايلز ابنة تشارلز وايلز.

فشهقت دهشة:

- أكنت تعرفين هويته؟

- طبعاً عرفتها فأنا ما زلت واعية عاقلة يا فتاة! لقد عرفته حالما لفظت اسمه... معتقدة أنك تعقلت أخيراً بشأن آل ستيل ولكن يتملكني شعور الآن بأنك لم تفعلي.

تنهدت وهي تسير إليها بخشونة:

- لم أفعل.

فهزت العمة أديث رأسها:

- أنت فتاة غبية. الماضي هو الماضي، ويجب أن يبقى هكذا... ألا تحبينه؟

- بلى.

- وهو يحبك أيضاً... فلماذا لا يمكنكما نسيان الماضي؟



- أنا نسيته، أما هو فلم يستطع... اوه... ليس لأنه يلومني على ما فعله والدي...

فقاطعتها عمتها بلطف:

- أتدركين إنها المرة الأولى التي تعترفين فيها أن والدك قد يكون مذنباً؟

فهزت رأسها:

- ولكنه لم يكن مذنباً.

قالت أديث بلطف وصوت خفيض:

- بل كان.

اتسعت عينا ماري من شدة دهشتها. هي بدون شك لم تسمع جيداً:

- عمتي أديث... لقد...

تنهدت العجوز:

- في الواقع لا يمكنني الاستمرار في خداعك بعد يا ماريام. يجب أن تعرفي الحقيقة. قلت يوماً لوالدتك ان عليها أن تخبرك لكنها لم تقبل.

أحست ماري فجأة بجفاف في فمها.

- لِمَ لم تقبل؟

- لم تشأ أن تخبرك أن أباك كان مذنباً في كل ما اتهم به وأنه انتحر لأن جورج ستيل كان سيحصل على دليل إدانته التي ستسوّد سمعته إلى الأبد في اليوم التالي... وأن عشيقة أبيك كانت ستشهد ضده.

ابتلعت ماري ريقها بصعوبة وقد غدت شاحبة كالأموات:

- عـ... عشيقة؟

- كانت امرأة أقام معها والدك علاقة مدة سنتين... وهو ما سرق المال إلا ليعيلها مدى الحياة بعد أن يهجرك وأمّك.

هزت رأسها وهي لا تصدق ما تسمع.

- لكن الرسالة! لقد ادعى فيها أنه بريء!

فقالت العمة:

- لم يكن هناك من رسالة يا ماريام... على الأقل لم تكن رسالة كتبها



www.elromancia.com

أبوك أبدا.

- هل أمي...

فأكدت لها العمة:

- هي التي كتبتها.

وصاحت بحيرة:

- ولكن لماذا؟ لماذا كذبتما علي؟

- كنت في الثانية عشرة من عمرك. فتاة صغيرة تألمت كثيراً، لذا لم تشأ أمك زيادة البؤس على قلبك بمعرفتك الحقيقة.

تنهدت العمة بقلق ثم أكملت:

- لم يعجبني ما فعلته أمك، لكن ما حصل قد حصل.

- لكن أمي... انهارت بعد موت والدي.

- لقد ساندته خلال المحاكمة مؤمنة ببراءته... لكنها عادت فاكتشفت أمر عشيقته، وخطته لهجرها. وهذا ما حطم روحها يا ماريام. وجعلها يائسة لا أمل لها في الحياة... بعد أن علمت الحقيقة قررت ألا تعلميها لتبقى صورة والدك حسنة في ذكراك. وعندما تركك ذاك الأرعن لم أندم لأنني علمت أنه ليس الرجل الذي تستحقينه أمّا ريك فهو رجل طيب لذا لن أقف مكتوفة اليدين وأنا أراك تفقدينه للسبب عينه.

تأوهت ماري:

- ولكن معرفتي الحقيقة لن تغيّر في الوضع... ألا ترين هذا يا عمتي؟

- بل أرى أنه قد أزف الأوان ليسامح ريك والده. أجل... فأنا أعرف ما بينه وبين والده. فهو نفسه أخبرني أن العلاقة الأسرية مفقودة بينهما مع أنه لم يذكر السبب أو اسم والده. لكن عيشي في هذا المنزل لا يحول بيني وبين أن أعرف ما يجري في العالم، كما لا يحول دون أن أقدّم النصيحة لتصحيح وضع خاطىء... ووضع الابن ووالده خاطىء يا ماريام. بعد أن أخبرتك الحقيقة أرى أنه عليك الذهاب لتعترفي بها أمامه.

قالت ماري ببطء، وهي لا تزال مذهولة:



- عمتي أديث... لو كان جورج ستيل يملك الدليل الذي يدين والدي... ولو كان يعرف عن هذه... هذه المرأة... والمال المسروق... فلماذا لا يخبر ابنه فيبرر بذلك نفسه أمام ولده؟

- عليك أن تسأليه هذا السؤال بنفسك.

تسأل جورج ستيل؟ لا... لا تستطيع فعل هذا... لا تستطيع مواجهة ذلك الرجل الساخر القاسي.

ومع ذلك فبعد ساعتين وجدت نفسها تقود سيارتها إلى منزله، دون أن تفكر فيما تقوم به، كانت تقود السيارة فقط وملؤها الأمل بأنها عندما تصل إلى هناك أن يكون في الخارج... لكنه لم يكن.

قالت لمدبرة المنزل:

- أعلميه أن ماريام وايلز تريد رؤيته. الآنسة ماريام وايلز.

ولم تكن قد فكرت في ما ستقوله لجورج ستيل عندما تراه. كل ما تعرفه أنه يجب أن تبدأ دون خداع بينهما.

قد تدعي أنها لم تتألم وترتبك بما كان عليه والدها بالفعل. بعد أن جعلته مثلها الأعلى لسنوات. ولكن وقع الأمر كان صعباً على والدتها. وهي تعيش مع كذبة براءة زوجها، الذي كان يخدعها، وكان ينوي هجرها.

- هل تسمحين بالدخول آنسة وايلز؟

نظرت إلى مدبرة المنزل المبتسمة وهزت رأسها:

- شكراً لك.

كان جورج ستيل يجلس في غرفة الجلوس، ينظر من النافذة إلى الخارج. عندما سمعها تقترب أدار كرسيه وابتسامة ترحيب تعلو شفتيه. حياها بحرارة:

- ماري... أليس ريك معك؟

فقطبت مجيبة:

- لا... أنا وحدي... ألست دهشاً لرؤيتي؟

فارتفع حاجباه الأشيبان وقال مبتسماً:

ـ آنسة وايلز؟ لقد عرّفتك منذ رأيتك. أذكرك وأمك جيداً... عرفتك فوراً... فأنت لم تتغيري كثيراً خلال اثنتي عشرة سنة يا ماري... والآن ماذا أستطيع أن أفعل لك؟

ردت متأوهة:

ـ أن تساعدني!

جلست، متألمة إذ كيف تطلب العون من الرجل الذي ظنت أنها لن تكلمه مطلقاً، فما بالك بطلب العون منه.

ـ لماذا لم تقل لولدك الحقيقة عن والدي؟

بدا عليه التردد لحظات لكنه عاد فتنهد:

ـ ألم أصيبكما بما فيه الكفاية من الضرر؟ الرجل قد مات.

ـ لأنه كان مذنباً!

هز رأسه:

ـ صحيح... ولكن، لو كنت أقل قسوة، ولم أصمم على إدانته...

ـ كنت تعرف أنه سيقتل نفسه!

ـ ربما... لكنه تركك وأمك للذئاب.

فشهقت:

ـ أمن أجل هذا لم تنشر الحقيقة؟

فهز رأسه:

ـ لم أجد مبرراً لأن أزيد عذابك وعذاب أمك. فوالدك مات، والشركة استردت مالها... وبذلك انتهت القضية.

ـ بل لم تنته. فأنت خسرت ابنك وحبه لك.

تلاشت ابتسامته:

ـ كان هذ ثمناً يجب أن أدفعه!

فوقفت بتصميم:

ـ ما من حاجة لتدفعه الآن... قد أخسر ريك لكنني سأكون حريصة حتى لا تخسره أنت. سوف أخبره الحقيقة.



فقاطعها جورج ببرود:

ـ الخير في ألا تفعلي.

فاتسعت عيناها.

ـ ولِمَ لا؟

ـ لأن الوقت قد فات... قد لا أكون مذنبا بكل ما آمن ريك بأنني مذنب به، ولكنني مذنب بالكثير منه... لطالما كنت طموحاً، وقضية والدك بدت لي الخطوة الأولى على السلم الذي سيرفعني إلى القمة... قضية رابحة، ليس للمجرم منها مهرب. عرفت فيها كل شيء حتى عشيقة والدك. وهل أُخبرت عنها؟

فهزت رأسها:

ـ لقد أخبرتني عمتي لتوها بالحقيقة.

فلمس يدها بلطف وقال:

ـ أنا آسف.

فردت بثبات:

ـ ولكنني لست آسفة... حقاً لست آسفة.

فتنهد جورج:

ـ حسناً... لقد اقتعت العشيقة بأن تشهد ضد والدك على أن أسقط معظم التهم عنها.

ـ إذن لهذا خانته!

فهز رأسه:

ـ أشك في أنها كانت ستقف إلى جانبه، فهي لم تكن مهتمة به بل بالمال. فلقد كانت عاهرة وضيعة باردة، تريد استغلال الفرص. وعندما ألقي القبض عليه سرعان ما انقلبت ضده! لم أعلم ما كانت ستكون ردة فعله لو علم أنها ستشهد ضده.

فقالت ماري:

ـ بالطبع لن تعرف.



www.elromancia.com

نظرت إليه بعطف ثم أردفت:

- إن ريك مغفل لأنه لم يصل إلى فهم الوضع.

هز رأسه بحزن:

- لقد فات الأوان حقاً يا ماري.

سألته ببطء:

- زوجتك... هل عرفت الحقيقة؟ وهل انقلبت ضدك؟

فابتسم، ولمع الحب فجأة في عينيه الرماديتين الشاحبتين:

- لقد أحبتني حتى النهاية، كما أحببتها تماماً. مع أن ولدي يشك في هذا.

برقت عيناها بالعناد وهي تقول بخشونة:

- يجب أن يقتنع بالكثير.

فلمس جورج يدها:

- يبدو أنني سأحبك جداً كزوجة لولدي يا ماري.

فأشاحت بوجهها عنه:

- ستحبني وأنت تعرف من هو والدي؟

فقال مطمئناً:

- لا علاقة لك بوالدك. هذه الأمور لا تنتقل بالوراثة، مهما قيل العكس. وأنا آسف إذا كنت وريك قد تسببنا لك بإزعاج الأسبوع الماضي.

ابتسم، ثم أكمل:

- نحن نظهر أسوأ طباعنا عندما نجتمع معاً. لكن سيعجبني أن تتزوجيه... هل تظنين أن بإمكانك ترتيب الأمر؟

فهزت رأسها بأسى:

- أخشى أن لا أستطيع.

فبدا الغضب عليه:

- هذا الولد عنيد مثل...

فابتسمت:



- مثلك.

فتمتم:

- ربما... هل ستزوريني ثانية؟

سمعت في صوته صدق متوتر أقنعها بأنه يعني ما يقوله. فهزت رأسها:

- سأحاول.

وصلت في وقت متأخر إلى منزلها وكان لقيادة السيارة طوال اليوم تقريباً ولمعرفة الحقيقة المرة أكبر أثر عليها فقد أحست بالتعب الشديد. ولكن التعب هذا لم يحل دون زيارة ريك. فهي ما كانت لتطيق صبراً حتى الغد وهناك في مقعد نقال رجل عجوز تدين له بالشرح.

عندما فتح ريك الباب لم يكن مرتدياً سوى روب المنزل مشعث الشعر وكأنه خارج من فراشه... ومع ذلك فقد كانت الخطوط العميقة حول عينيه تبدو جلية، وتشير إلى أنه مثلها لم ينم جيداً خلال الأسبوع الماضي.

قالت بسرعة وتصميم:

- أود محادثتك.

لم يتنحَّ قيد أنملة عن الباب.

- الوقت متأخر.

نظرت إليه دون خوف، فوجدت البرودة فقط في وجهه.

قالت له بهدوء، وهي تراقب دهشته وصدمته:

- أكدت لوالدك لتوي أن الوقت لم يتأخر بعد.

ردد بحدة:

- والدي؟ وهل ذهبت لرؤية والدي؟

- أجل.

فصاح غاضباً:

- ولماذا؟

فسألته ببرود:

- هل لي بالدخول؟ أم تفضل مناقشة الموضوع عند الباب؟



www.elromancia.com

آه ليتها تشعر بالهدوء والثقة بالنفس بدل هذا التوتر الذي تحسه في داخلها.

أحس بالخجل لتوبيخها المقصود، وتراجع عندما مرت به، داعبت رائحة عطر الحلاقة، ورائحة جسده النظيف مشاعرها...

ـ لماذا ذهبت إلى والدي؟

ـ لأنني كنت بحاجة لأعرف الحقيقة.

سخر منها:

ـ أية حقيقة؟

ـ حقيقة صمته بشأن قضية والدي. كنت أريد أن أعرف سبب إصراره على أن يضر بسمعته؟ هل سألته مرة عن الحقيقة يا ريك؟

فالتوى فمه:

ـ كنت أعرفها.

تابعت وكأنها لم تسمع ما قال:

ـ والدي كان مذنباً، وأعرف هذا الآن. عمتي أديث كانت تعرف الحقيقة طوال الوقت.

ـ لقد قلت لك... لا يهمني ما إذا كان والدك مذنباً أم لا. لقد كان سبب انتحاره!

هزت ماري رأسها:

ـ أنت مخطىء.

ابتلع ريقه بصعوبة:

ـ لا لست مخطئاً. لست أدري ما قاله لك أبي، ولكن كان يجب أن أحذرك، فهو كاذب متمرس. كان يخدع أمي خمسة وثلاثين عاماً!

امتدت يدها فضربته على وجهه دون أن يرف لها جفن أو ترتعب عندما رأت الاحمرار أو الغضب الذي استعر في عينيه:

ـ التقط أنفاسك يا ريك... وسيطر على أعصابك... فستحتاج لهذا!

ـ أيتها الـ...



فصرخت به بغضب:

ـ اجلس... واصغي لما سأقوله.

ـ ماري...

قبل أن يضيف كلمة أخرى سارعت ماري إلى الكلام فتلاشت احتجاجاته الغاضبة وهو يصغي باهتمام لما كانت تقوله. وإذ به يجلس على الأريكة وهي لم تنه بعد نصف قولها لكنها عندما فرغت جعبتها من الكلام بدت شاحبة اللون، منهكة مثله تماماً. دنا ريك منها ليقدّم لها بعض العصير ثم قال لها بصوت قلق:

ـ اجلسي.

ارتشفت بعضاً منه فأحست بالارتجاف يزول من جسدها:

ـ شكراً لك.

تنهدت مكملة:

ـ أنت الآن ترى، أن والدك كان يحول بينك وبين معرفة الحقيقة. رغم علمه بأنها وحدها تبرئه أمامك، أليس كذلك يا ريك؟

نظرت إليه بفضول، فجاءها صوته خشناً من التأثر:

ـ أجل.

قالت بصوت مرتجف:

ـ شكراً لله على هذا!

نظر إليها محدقاً وقد ضاقت عيناه:

ـ لماذا أخبرتني يا ماري؟

ـ كي ابرىء والدك...

ـ لا لسبب آخر؟

فاحمرّ وجهها:

ـ لا.

كرر سؤاله بإصرار:

ـ لا سبب إطلاقاً؟



www.elromancia.com

وضعت ماري كوب العصير من يدها، ثم هبت واقفة تريد الخروج:
ـ الأفضل أن أذهب.
فقال بصوت أجش:
ـ ألم تأملي بأنك عندما تخبريني الحقيقة قد توضحين سوء التفاهم القائم بيننا كذلك؟
أجفلها سؤاله:
ـ لا...
قال مرتجفاً:
ـ إذا لم تقولي نعم يا ماري، أقسم أن أدق عنقك!
نظرت إليه بارتباك:
ـ ريك...!
فتأوه:
ـ أحبك يا ماري... وأنت تحبينني. أمخطىء أنا؟
انقطعت أنفاسها وهي ترد:
ـ لا.
احتواها بين ذراعيه:
ـ انقلب السحر على الساحر يا حبيبتي.
ارتجف جسده وهو يحس بحرارة جسدها تلفحه وتابع:
ـ وقعت في حبي رغم كل شيء.
فأراحت رأسها على صدره.
ـ نعم.
داعب شعرها:
ـ يا طفلتي المسكينة...
تعلقت به، وهي لا تكاد تصدق أن هذا الحلم الجميل قد غدا حقيقة.
ضحك بنعومة:
ـ لست مضطرة لقول «نعم» طوال الوقت يا حبيبتي.



أمسك وجهها بين يديه ليحدق بعمق إلى عينيها:
ـ أعدك بألا اؤذي شعرة في رأسك الجميل.
ابتلعت ريقها بصعوبة:
ـ أحبك.
أطلق آهة انتصار وضمها إليه وكأنه يريد إبقائها بين ذراعيه إلى الأبد.
ـ سنمحو آثار مرارة الماضي بحبنا يا ماري.
ـ ووالدك؟
كان عليها حتى وهي في غمرة سعادتها، التفكير في جورج ستيل والتضحية التي تكبّد مشاقها طوال هذه السنوات.
هز ريك رأسه:
ـ سأذهب لرؤيته.
حثته:
ـ غداً.
لكنه رفض قائلاً:
ـ ليس غداً... سأتصل به الغد، على أن نذهب لرؤيته في يوم آخر. فلدي خطط أخرى للغد.
فقطبت جبينها:
ـ مثل ماذا؟
ـ مثل إتمام اجراءات زواجنا... ألن تتزوجينني يا ماري؟
فتنهدت بسعادة:
ـ اوه... أجل!
قفزت الرغبة من عينيه وكأنها النار. فذابت بين ذراعيه تريد نسيان كل شيء إلاه.

● ● ●



www.elromancia.com